الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

البعد الوطني والقومي في شعر محمد العيد آل خليفة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة: ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:

- نجاة موراس.
- هاجر برباش.

إشراف الأستاذ الدكتور:

– محمد زلاقي

شكر وتقدير

نتقدم بخالص الشكر والامتنان لأستاذنا المشرف "أ.د/ محمد زلاقي" الذي لم يبخل بأي جهد لمساعدتنا في إنجاز هذا العمل وعلى المجهودات التي بذلها معنا طيلة الموسم الدراسي من خلال متابعته للعمل بنصائحه وتوجيهاته القيمة.

كما لا ننسى الوالدين الأعزاء .

ونختم شكرنا إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

لكم جميعا كل الشكر

مقدمة

مقدمة:

تعددت أسماء الأدباء والشعراء الذين تناولوا قضايا وطنهم من بينهم محمد العيد آل خليفة الذي كرس جهوده الفكرية لخدمة القضية الجزائرية والاصلاح الاجتماعي، فكان محل الثناء والاعجاب حيث أطلق عليه اسم شاعر الجزائر وشاعر الشمال الافريقي وشاعر العروبة والاسلام فعاش بحسه المرهف أحداث وطنه، كما تناول أفراح وآلام العالم العربي ودعا إلى الوحدة والتمسك بالإسلام والعروبة، من أجل هذا استقر الرأي على أن يكون موضوع بحثنا "البعد الوطني والقومي في شعر محمد العيد آل خليفة".

وتكمن أهميته في أنه تناول شاعراً تعرض لمرحلة تاريخية عصيبة عاناها الشعب الجزائري فكان المرآة العاكسة لمعاناته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ومساهمته الكبيرة في حفظ تراث وأصالة الشعب الجزائري، كما كان صدى لأحداث السياسية ورفض الهيمنة الاستعمارية.

ويسعى هذا البحث إلى الإجابة عن مجموعة أسئلة أبرزها: ما المقصود بالبعد الوطني والقومي في شعر محمد العيد آل خليفة؟ وكيف تجلت الأبعاد الوطنية والقومية في شعره؟ وما هي القيم الفنية والجمالية التي ميزت هذا الشعر؟ وغيرها من التساؤلات التي فتحت لنا آفاقا رحبة للدراسة والبحث وما دفعنا لاختيار هذا الموضوع، الاهتمام بالشعر العربي عامة والشعر الجزائري خاصة، والرغبة في دراسة شعر محمد العيد وإبراز مكانته الحقيقية وإثراء الدراسات المتعلقة بالأدب الجزائري.

وقد سبقتنا العديد من الدراسات لهذا الموضوع نذكر منها التجربة النقدية لأبي القاسم سعد الله، وملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة مذكرة الماجستير للدكتور إبراهيم لقان، وأيضاً دراسة تحليلية لحياة محمد العيد آل خليفة لمحمد بن سمينة.

ومن أهداف هذا البحث تسليط الضوء على شعر محمد العيد آل خليفة وإظهار أهميته.

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي والوصفي والفني مع خطة بحث تبنى على مايلي: مقدمة، مدخل تناولنا فيه التعريف بالشاعر محمد العيد، منابع ثقافته ونشاطه الشعري.

أما الفصل الأول الذي عنوانه البعد الوطني فخصصناه للتعريف بالوطنية واستعراض للقضايا الوطنية التي كان لها الأثر البالغ في شعره، منها الجانب الاصلاحي الديني، الجانب الاصلاحي الاجتماعي، والجانب السياسي الثوري خلال مرحلتي ما قبل الثورة ومرحلة الثورة.

وفي الفصل الثاني الذي عنوانه البعد القومي في شعر محمد العيد تطرقنا للتعريف بالقومية كما تناولنا القضايا العربية كالقضية الفلسطينية، والقضية المصرية بالإضافة لمناسبة الاستقلال التي عرفتها بعض الأقطار مثل استقلال ليبيا والسودان وربطهما بالواقع الجزائري كما تطرقنا لقضية الوحدة والعروبة.

أما الفصل الثالث وعنوانه الدراسة الفنية لشعره، فعالجنا الجوانب الفنية كاللغة والأسلوب حيث وقفنا عند أهم المظاهر الأسلوبية كالأسلوب التقريري والاقتباس من المعجم الصوفي والقرآني والقاموس القديم، كما تناولنا صيغ الأسلوب، بالإضافة إلى دراسة الصورة الشعرية مصادرها أنواعها، وأنهينا بحثنا بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها أثناء هذه الدراسة.

واعتمدنا في بحثنا هذا على ديوان محمد العيد آل خليفة كمصدر أساس، أما المراجع فأهمها رائد الشعر الجزائري الحديث محمد العيد آل خليفة لأبي القاسم سعد الله والشعر العربي الحديث لصالح خرفي.

وقد اعترضتنا صعوبات أهمها ضيق الوقت واتساع الموضوع.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف" **محمد زلاقي**" الذي أعاننا بما لديه من نصح وإرشاد، وكذلك الأستاذة "**سامية تبحرتي**" التي وجهتنا بملاحظتها الثمينة، ولا ننسى أعضاء لجنة المناقشة وكل من أسهم في منحنا جزءا من وقته رغم الضغوطات التي يتعرض لها ونتمنى أن نكون قد أعطينا هذه الدراسة حقها ولو بالشيء القليل.

مدخل

1- التعريف بالشاعر محمد العيد آل خليفة.

2- منابع ثقافته.

3- نشاطه الشعري.

مدخل

تعج الساحة الأدبية الجزائرية بالعديد من الوجوه الشعرية، التي كتبت أسماؤها بحروف من ذهب وأضفت ذوقا معرفيا وفكريا وفق مسار ثورتها المجيدة، حيث حملوا على عاتقهم قضايا وطنهم وسخروا أقلامهم للدفاع عنه، وتحريره من الاستعمار والطغيان الذي عانى منه، فالجزائر الحبيبة:« فيها شعر يجهله الكثيرون من أبناء العروبة بجهله حتى الأدباء الكبار الذين يتزعمون حركة الفكر والأدب في العلم العربي » [1] .

ومن الأسماء البارزة في سماء الشعر الجزائري نذكر على سبيل المثال لا الحصر "عبد الحميد بن باديس، مفدي زكريا، البشير الإبراهيمي، محمد بن أبي شنب، محمد العيد آل خليفة» حيث يعود لهم الفضل في إرساء الدعائم الدينية والأخلاقية التي حاول الاستعمار طمسها، فقد حافظوا على الهوية والمعتقد، ورابطة الدم بين بني الجزائر، ولولا هاته الثلة لأمست الجزائر "لا يصلها بماضيها غير الكتب التاريخية"[2].

ويأتي محمد العيد آل خليفة في صدارة الشعراء الدين اهتموا بالقضية الوطنية وسعوا إلى جهاد الكلمة قبل جهاد السيف، فقد قال فيه البشير الابراهيمي«خضيب الذهن، رحب الخيال متسع جوانب الفكر، طائر اللمحة، مشرق الديباجة، متين التركيب، فحل الأسلوب، فخم الألفاظ»[2].

وللوقوف أكثر على سيرة الشاعر نوجز حياته في هذه الومضة.

1- التعريف بالشاعر محمد العيد آل خليفة.

هو محمد العيد آل خليفة، ولد بمدينة عين البيضاء ولاية أم البواقي بتاريخ27 من جمادى الأولى1323هـ الموافق لـ 28أوت1904م.

تنحدر قبيلته العربية من أسرة عربية عريقة هي "المحاميد" والتي سكنت ليبيا في العهد الفاطيمي ثم استقرت في وادي سوف بالجنوب الجزائري"[3]، نشأ في أسرة متدينة، وأب صوفي صالح، ترعرع في جو أسري مفعم بالعفة والتقاة، وتشربت نفسه من هذا الحب العميق، والأخلاق الفاضلة والإيمان الشديد بعز الإسلام والوطن.[4]

---

[1] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، عاصمة الثقافة العربية، (د. ط)، 2007، ص180.

[2] محمد البشير الإبراهيمي: مجلة الشهاب سنة1939: نقلا عن: أبو القاسم سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة قضايا أدبية ونقدية، عالم المعرفة، الجزائر، (ط خاصة) ، 2011.

[3] محمد بن سمينة: محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، 1992، ص9.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص10.

2- منابع ثقافته:

نظم محمد العيد آل خليفة الشعر، وكانت شخصيته متميزة في الشعر الجزائري الحديث وقد تبوأ مكانة مرموقة بفضل غزارة إنتاجه وتنوعه.

يعود الفضل إلى الأسرة التي عاش فيها، والمشايخ الكبار الذين تلقى على أيديهم العلم والمعرفة، أمثال "محمد مناشو" و"محمد الدامرجي" وقد أخذ عنهم«المؤثرات الشرقية التي كان يسمع عنها وهو صغير، فازداد عن طريقهم تأثر بها، وبما كان يدور في أروقة الزيتونة من صراع حول المحافظة والإصلاح، وبما كان يشيع في الحياة العامة من تيارات سياسية وثقافية وأدبية»[1].

بالإضافة إلى كل هذا "كانت البيئة الاجتماعية قد أثرت هي الأخرى في تكوين شخصيته العلمية وكذا مكتبته الخاصة التي كانت تحوي مصنفات دينية وعلمية، كما شملت أمهات الكتب المشهورة في اللغة والأدب وبعض دواوين الشعراء القدامى والمحدثين"[2].

ومن مصادر تكوينه حفظه للقرآن الكريم في الكتاتيب وتحصيله للعلوم الدينية واللغوية.

3- نشاطه الشعري:

يعد محمد العيد آل خليفة من الشعراء المتميزين الذين استطاعوا التعبير عن تجاربهم بنجاح، وأول خطوة شعرية خطاها وهو لا يزال طالبا في بسكرة قصيدته "داعي النهوض" وهي من أقدم القصائد على حد تعبير "محمد بن سمينة" والتي قالها حوالي سنة1290م ثم نشرها في24 جويلية1925م[3].

تابع محمد العيد طلب للعلم في تونس وعند عودته متشبعا بمنابع العلم استقر في بسكرة فكانت بداية ظهور بوادر النهضة العلمية والأدبية « في بسكرة فتحت عيني على النهضة الأدبية والعلمية»[4].

---

[1] محمد بن سمينة: محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته ، مرجع سابق، ص12.

[2] ينظر: عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعها وقضايا وأعلامها، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، ص66.

[3] ينظر: محمد بن سمينة: محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته ، مرجع سابق ، ص47.

[4] المرجع نفسه، ص48.

كما تعد قصيدة "صدى الصحراء" من أقدم القصائد حيث تضمنت دعوة حارة إلى العمل واليقظة والإصلاح يقول فيها:

صَفَا العَيْشُ لي وَامْتَدَ رَيفُ ظِلاَمِي فَمَا تَكَاليفُ الزَمَانِ وَمَالـــــــي

صَفَا العَيْشُ وَزْدَانَ رَوْضَ مَواهِبِي وَأَيْنَعَ فَضْلِي وَاسْتَبَانَ كَمَلـــــي

وَكُنْتَ صَدَى الصَحْرَاءَ أَدْعَى لأبْنِي بَسَطتُ عَلَى الصَحْرَاءِ نُورَ هِلاَلي

وَوَالَيْتُ بالإرْشَادِ رَفْعَ عَقِيرتـــــي عَسَى أَنْ يَهبَ النائمونَ حِيَالــي

وَهَبوا إِلى الإِصْلاَحِ فالله كَافِـــلٌ لِمَنْ هَبَ للإِصْلاحِ حُسْنَ مِثـــالِ[1]

كما لم يقتصر عمله على "صدى الصحراء" بل تجاوز ذلك إلى تكوين رجال الغد وأهمية تثقيف الشباب وتكوينه تكوينا عربيا إسلاميا.

بدأ عمله في جمعية الشبيبة الإسلامية1395 لكن بسبب مضايقة الاستعمار، تم غلق المدرسة وإيقاف عملها.

عاش محمد العيد في وطنه، بكل وفاء وانتماء وقدم له قوة فكرية وطاقة إبداعية وأعطى صورة مشرقة للثورة الجزائرية في مختلف الهيئات توفي في 17رمضان سنة1395هـ الموافق لـ31 جويلية1979 تاركا وراءه رصيدا إبداعيا هاما:

- ديوانه الذي طبع ثلاث مرات في سنة1967.
- رواية "بلال بن رباح" مسرحية شعرية طبعت في المطبعة العربية بالجزائر للشيخ" أبي اليقظان سنة1938"[2].
- أنشودة الوليد في يوم المولد السعيد مع موجز نثري للسيرة النبوية.

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)، 2010، ص18.

[2] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، (1925-1975) دار الغرب الإسلامي، ط2، 2006، ص666.

الفصل الأول: البعد الوطني.

مفهوم الوطنية.

القضايا الوطنية.

أ/ الجانب الاصطلاحي الديني.

ب) الجانب الاصطلاحي الاجتماعي.

الجانب السياسي الثوري

- شعره الثوري قبل الثورة.

أ- الثورة على المستعمر والدعوة إلى الجهاد.

2- شعره الثوري أثناء الثورة وبعدها.

أ- مرحلة الإقامة الجبرية.

ب- وصف بطولات جيش التحرير.

مفهوم الوطنية:

لغة: وطن: الوطن: المنزل به، هو موطن الإنسان ومحله وجمعه أوطان"[1]

اصطلاحا: الوطنية هي أرقى إحساس بالانتماء، يمكن للفرد الشعور به تجاه وطنه والاعتزاز به يعرف "عمر الدسوقي" الوطنية بقوله "الوطنية روح تتمثل في حب الوطن، والافتتان به والفناء فيه، والعمل له، والذود عنه، والحفاظ عليه تصري في النفوس فتحبب إليها البذل والفداء، والتضحية والإيثار، وترتفع بها إلى مصاف الأبرار، ومراتب الأبطال حين يخرب الوطن، الضر ويحيق به الشر، فتسترحض الدم الزكي، يروي ثراه الجيب وتستعذب الشهادة راضية قريرة العين في غير من ولا خيلاء، وكم من بطل ارتفع الوطن على أشلائه"[2].

فالوطنية هي حب الوطن دون مقابل، والعمل على بناء الوطن والرقي به، والاعتزاز بالانتماء إليه.

وبهذا فإن الوطني هو الذي يحيا في سبيل وطنه وأمته ويضحي بكل غال ونفيس من أجلها وتلك هي قمة الوطنية إذ: "هي حب الوطن والشعور بارتباط وطني نحوه"[3].

الوطنية هي كل المظاهر التي تجعل المجتمعات متماسكة في ما بينها، والشعور بالوطنية يكون فطريا عاطفيا. ويعرفها "بدوي زكي بقوله" هي ارتباط الفرد في أول عهده بالبيئة المباشرة، والمشاعر التي تتولد لدى الوطني قد لا تستند إلى التفكير بقدر ما تستند إلى استجاباته العاطفية"[4]. فهي إذن تعبير هادف يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه، الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس، والعادات والتقاليد، والفخر بالتاريخ والتفاني في خدمة الوطن.

وبعبارة أخرى فإن الوطنية هي كلمة تلخص كل معاني الانتماء العاطفي والوجداني للفرد تجاه وطنه الأم.

القضايا الوطنية:

أ/ الجانب الاصلاحي الديني.

كانت الحركة الاصلاحية الجزائرية في مظهرها الديني، أو الوطني السياسي والفكري الأدبي امتدادا لحركة النهضة العربية عامة، لأن روادها من خريجي المعاهد

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، مج3، المادة (وطن)، د ت، ص949.

[2] عمر الدسوقي: دراسات أدبية ، دار النهضة مصر للطبع والنشر، ط2، 1957، ص123.

[3] ساطع الحصري: أبحاث مختارة في القومية العربية، دار المعارف مصر، 1964، ص28.

[4] بدوي أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، د ت، ص307.

العربية العالمية كمعهد الزيتونة، والأزهر، فلقد تأثروا بتلك التيارات الفكرية الشرقية نتيجة احتكاكهم بها.

ويعد محمد العيد أحد الرواد البارزين في هذا الاتجاه الديني حيث شغل شعره مساحة واسعة، إذ لا تخلو قصيدة من الحس الإسلامي، من خلال نشاطه مع جمعية العلماء المسلمين التي اتخذت من الاصلاح شعارا لها حتى تصل إلى الهدف المنشود وهو الدفاع عن الإسلام والوطن.

وقد دعا محمد العيد آل خليفة للدفاع عن الإسلام، ضد المستعمرين الفرنسيين الذين أظهروا حقدا دينيا حتى قال أحدهم: "إن احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور مائة سنة على احتلالنا للجزائر ولكنه احتفالٌ بتشيع جنازة الإسلام"[1].

ولم يكن هذا الحاقد الوحيد على الإسلام فقد قال لا فيجري "علينا أن نحرر هذا الشعب، ونخلصه من قرآنه" ثم أضاف "أنه يجب تعليمهم الإنجيل"[2]، لكن الجزائريين، ونتيجة هذا صاروا أكثر التفافا، وتشبثّا بالدين.

كان محمد العيد من أكبر المدافعين عن الإسلام ضد الحاقدين، الذين اعتبروه مصدر تخلف المسلمين ومن بينهم "آشيل" الذي نشر مقالات جهنمية في جريدة (الديش" القسنطينية متحاملا على الإسلام والمسلمين "وكان ابن باديس ومحمد العيد له بالمرصاد فكالوا له الصاع صاعين"[3]، حيث يقول محمد العيد في ذلك:[4]

هَيْهَاتَ لاَ يَعْتَرِي القُرْآنَ تَبْديـــــلُ وَإِنْ تَبَدَلَتْ ثَوْرَاتُ وَإِنْجِيلُ
قُلْ لِلَذِينَ رَمَوْا هَذَا الْكِتَابِ بِمَـــــا لَمْ يَتَفِقْ مَعَهُ شَرْحٌ وَتَأْوِيلُ
هَلْ تُشْبِهُوْنَ ذَوِي الْأَلْبَابَ فِي خَلْق إِلاَ كَمَا تَشَبَهَ الْنَاسَ التَمَاثِيل
فَاعْزُوا الأَبَاطِيلَ لِلْقُرْآنِ وَابْتَدِعُــوا هَيْهَاتَ لاَ تَجْدِي الأَبَاطِيــلُ

يؤكد الشاعر أن القرآن يستحيل المساس به، أو التفكير في تحريفه، كما حرف اليهود والنصارى التوراة والإنجيل، ويصفهم بصفات ساخرة، فهم تماثيل صماء ليس لها من

---

[1] العلوي محمد الطيب: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام1830 حتى ثورة نوفمبر1945، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1985، ص109.

[2] خرفي صالح: شعر المقاومة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د. ت)، ص266.

[3] المرجع نفسه، ص267.

[4] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص85.

الخصائص الآدمية إلا الشكل، وأن الإسلام لن يتأثر بما نسب إليه، لأن ذلك لا يزيد في النفس إلا قوة وشجاعة.

كما رد محمد العيد علي "آشيل" بزعمه أن القرآن يدعو إلى الحروب الهمجية فيقول:[1]

مَا بَالُ (آشيلَ) فِي الدِيباشِ يَسْخَرُ مِنْ ءايَاتِ مُحكَمَةٍ لاَ كَانَ آشَيلَ !؟
مَا بَالُ آشيلَ يَهْدِيْ فِي مَقَالَتِـــــهِ كَحَاكِمٍ رَاعَهُ فِي النُومِ تَخْيِيْلَ؟
مَا بَالُ آشِيلُ يَزْرِيْ المُسْلِمِينَ وَهُم غُرُ العَرَائِكَ أَنْجَابُ بَهَالِيْـلَ؟
أَفَكَارَهُمْ بِهُدَى القُرآنِ ثَاقِبِـــــهُ فَلاَ يُخَامِرُهَا فِي الرَأْيِ تَضْلِيلَ
وَأَمِرْهُمْ بَيْنَهُمْ شـــــورَى وَدِينُهُم فَتْحُ مِنْ اللهِ لاَ قَتْلُ وَلاَ تَمْثِيلَ
دَمِغَتْ أَقْوَالَ آشِيلَ كَمـــــا دُمِغَت أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ الطَّيْرَ الأَبَابِيْـلَ

هذه الأبيات هي تهديد ووعيد وتحدّ، صارخ لآشيل حيث تهم الشاعر بالهذيان، ويدعو عليه بالهلاك، كما أوضح أن القرآن الكريم كتاب عظيم لا تشوبه شائبة.

وكان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأثر البالغ للدعوة للإصلاح، حيث دعت إلى جمع الشمل وتوحيد الجهود وتوجيهها نحو الطريق السوي، من أجل تحقيق الأهداف الوطنية، وقد نظم محمد العيد قصيدته مهنئا العلماء بهذه الجمعية الفعالة بقصيدته "تحية العلماء" قائلا:[2]

عَلَى الرَحْبِ حَلُوا أَجْمَعِينَ عَلَى الرُحْبِ فَأَنْتُمْ ضُيُوفُ فِي حُمَى اللهِ وَالشَعْبِ
طَلَعْتُمْ عَلَيْنَا كَالْكَوَاكِبِ فِي الدُجَـــى وَسِرْتُمْ إِلَيْنَا كَالسَحَائِبِ فِي الجَــذْبِ
بَسَطْنَا لَكُمْ مِنـــا قُلُوبـــــاً خَفِيْـــةً فَدُوسُوا عَلَيْهَا لاَ تَدوسُوا عَلَى التُرْبِ
أَعِيدُوا عَلَى الإِسْلاَمِ هُـدِيَ مُحَمْد بِمَا كَانَ يُمليهِ عَلَى الآلِ وَالصَّحْـبِ
فَيَا عُصْبَةَ العِرْفَانِ يَا قَـادَةَ الهُـدَى تَعَـالوا نردُ الشَعْـبَ مُلْتَئِمَ الشَعْبِ

هذه الأبيات هي إشادة وتغن بالعلماء والافتخار بهم كما تدعو إلى تعليم الدين القويم واللغة العربية، بكونهما أساس النهوض بالمجتمعات والرقي بها، والاقتداء بنهج السلف الصالح والدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

"عملت الحركة الإصلاحية بقيادة محمد العيد على الدعوة إلى نشر العلم، والإصلاح المتكامل للمجتمع ثقافيا وسياسيا.

---

[1] محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص86.

[2] المصدر نفسه، ص249.

وكان دأبها في إصلاح القضايا وإحداث ثورة علمية وبعد تدليل العقبات وتمهيد الطرق التفت أولئك المصلحون إلى الناحية الثانية، ناحية الإصلاح العلمي، فدرسوا مسارب الجهل إلى جسم الأمة وكيف تكون مكافحتها، وأساليب العلم القديمة وكيف يكون إصلاحها وحاجة الأمة إلى الفنون الحديثة وكيف يمكن جلبها فسارعوا في هذا السبيل خطوات بعيدة وقلصّوا ظل الجهل ونشروا أنوار العرفان، فتحوا المدارس في مختلف البلاد، وهدبوا أساليب التعليم، وقربوا منال العرفان إلى الأفهام فكانت في الشعب الجزائري الذي كان مضرب الأمثال في الأمية والرطانة، نهضة علمية مباركة تضم بين أبنائها ثلة من العلماء الفطاحل والخطباء المصاقع والكتاب المجيذين والشعراء الفحول"[1].

تناول محمد العيد أبيات شعرية، يشيد فيها بالجهود المبذولة لمحاربة الأمية وبث الوعي الثوري في نفوس الجزائريين يقول فيها:[2]

وَوَلَيْتُ بِالإِرْشَادِ رَفْعَ عَقِيرَتِي عَسَى أَنْ يَهَبَ النَائمونَ خَيَالِي
وَهُبُوا إِلَى الإِصْلاَحِ فَالله كَافِلُ لِمَنْ هَبَ لِلْإِصْلاَحِ حُسْنَ مَآَلِ

ويقوم محمد العيد بمقاربة بين العلم والجهل فيرى أن العلم هو سلطان الوجود ووسيلة للسيادة ومناعة الأوطان، وهو أغلى ما يشيده الإنسان من حصون ويرفعه من قلاع، يقول:[3]

العِلْمُ سُلْطَانُ العُقُولِ فَسُدَ بِــهِ مَنْ شِئْتَ أَوْذُدْ عَنْ حِيَاضِكَ وَدَافِعِ
وَالَجَأَ لَهُ بَدَلاَ الحُصُونِ فَلاَ أَرَى حُصْنَا كَمَدْرَسَةَ سَمَتْ أَوْ مَصْنَــعِ
قُلْ لِلْجَــزَائِـــرِ أَنْشِئِيْ كُلِيَــةً تَمْحُو جَهَالَةَ شَعْبِــكِ المُتَسَكِــعِ
الجَهْلُ غَيْمٌ فَوْقَ أَرْضِكِ ضَارِبٌ غَطَى عَلَــى أَحْيَائِهَــا وَالأَرْبَــعِ
الْجَهْلُ أَشْبَهُ بالغُرَابِ فَمَالَـــهُ مِنْ مُنْزِلٍ غَيْرَ الْخَـــرَابِ الْبَلْقَعِ

هذه الأبيات هي دعوة صريحة لتبني العلم والأخذ من مناهله من أجل الارتقاء في سماء المعرفة، فالجهل كالغراب الذي لا يحوم إلا على الخراب والأرض البياب.

---

[1] أبو اليقظان: موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري، البصائر دار العبث، قسنطينة، العدد01، اليوم27ديسمبر1935، ص(5–6).

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص12.

[3] المصدر نفسه، ص145.

تناول شعر الإصلاح، الاحتفاء بالمناسبات الدينية واستحضارها والتغني بها، جعلها فرصة للالتفات إلى الماضي واستحضار أمجاده يقول:[1]

سَلُوا التَارِيخَ عَنْ بَـــ رحِيْمِ لِلْوَرَى فَـــــادِي
سَلُوْا التَارِيخَ عَنْ أَرْضِ حَمَاهَا مِنْ يَدِ الْعَادِي
سَلُوا عَنْ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ كَمْ بَاهَتْ بِأَجْنَـــــادِ
وَكَمْ فيهمْ مِنَ الرَجْـــلِ رِجَالاَتُ كَأَســـــــادِ
فَرُدُوا مَجْـــــدَ مَاضِيْكُمْ وَحَوطُوْهُ بِأَرْصَـــــادِ

يعتز الشاعر هنا بالماضي، ويذكر أمجاد العرب وحضارتهم مستشهدا على ذلك بسيرة السلف الصالح الذين فتحوا الأمصار، وشيدوا حضارة مرموقة، لذلك يدعوهم للحفاظ عليها.

وقد تناول شعر محمد العيد أيضا تمجيد الشهادة والشهداء حيث جعل في فاتحة ديوانه قصيدة بعنوان (فاتحة ثناء وابتهال) يُذكّر فيها بما بذله الشهداء بما بذلوا من جهد وتضحية بالروح من أجل نشر الإسلام يقول:[2]

لَقَدْ نَشَرُوا هُدَى الإِسْلاَمِ قُدُمًا بِمَا بَذَلُوهُ مِنْ رُوْحِ الْتَفَانِي
وَأَبْقُوهُ لَنَا أَغْلَى تُـــــرَاثِ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ أَجَلُ شَأْنِ

فهذه الأبيات هي إشادة بالشهداء والتذكير بجهودهم في تثبيت راية الإسلام والإعلاء من شأنهم.

يعد الإصلاح الديني السلاح الحاد لمحاربة الاستعمار لما يحمله من تأثير عظيم في النفوس، وهذا ما لمسناه في قصائد محمد العيد ذات الطابع الديني الإصلاحي، حيث كان لها أثرها العميق في ترسيخ الروح الدينية، وشحن الهمم للدفاع عن الدين والوطن.

ب) الجانب الاصلاحي الاجتماعي.

جاء الإصلاح الاجتماعي من أجل نقل الواقع الاجتماعي، الذي عاشه الشعب الجزائري تحت وطأة الاستعمار الغاشم، فنتج عنه تدهور في مختلف القطاعات الحياتية ومحاولة القضاء على مقومات الهوية من دين ولغة« لقد تسلط على الأمة عوامل ثلاثة، لو تسلط عامل واحد منها على أمة كبيرة لزعزع ركنها، وهد بناءها، ألا وهي الجهل، والفقر

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص77.

[2] المصدر نفسه، ص1.

والفرقة، فالجهل أفقدها عن العمل، وشل أعضاءها عن الحركة، والافتراق أذاب قوتها. وذهب بريحها فبقيت والحالة هذه عرضة للتلف والإضمحلال والهلاك» [1].

إن الفقر هو العدو اللذوذ للإنسان، وقد عبر محمد العيد عن هذه الحالة بإحساس صادق راصدا معاناة الفقراء فقال:[2]

فَشَا الجُوعُ وَاشْتَدَ عُسُر المَّعَاشِ وَعَادَتْ سُنُو يُوسُفْ الغَابــرَةِ
تَفَاقَمَ كَربُ الفَقِيـــــرِ الكَسِيبْرِ أَمَا عِنْدَكُمْ مِنْ يَدٍ جابـــــرَةِ
يَشُقُ عَلَيْهِ الرَغِيـــفِ الطَفِيفِ وَتَعُوزُهُ الخِرْقَةَ السَاتِـــــرَةِ
فَيَا أَيُهَا الرَافِعُـــــونَ القَصورَ إِلَى الجو في الأمُةِ القَاصِــرَةِ
وَيَا أَيُهَا الوادعُـــونَ النِيـــامَ عَلَى الخَزِ فِي السُرُرِ الفَاخِرَةِ
أَلاَ تَذْكُـــــرُونَ حَفَـــاة عَرَاةَ أَصَابَهُمْ الفَقْرُ بالفَاقِـــــــرةِ

يرصد الشاعر في هذه الأبيات معاناة الشعب جراء الاستعمار، مشبهاً تلك المعاناة بسنين يوسف عليه السلام القاسية، ولا يوجد من يساعد الآخر برغيف خبز أو لباس يقيه لسعات البرد، في حين نجد أناساً يتعالون في العمران ولا ينظرون لمن هم أدنى منهم، لأن الإحساس تجمد والمشاعر قتلت فصاروا لا يشعرون بألم الأمة وجوعها.

كما وقف محمد العيد عند الطفولة المشردة والشباب الطائش فقدم تلك الصورة والملامح التي تهتز لها القلوب قائلاً:[3]

قِفْ مَعِي بالَجزَائرِ اليومَ واسْبِر غُورَ أَحوالِهَا بعيـــنٍ وَأُذُنّ
تجِدَ الطِفلَ في الأَزِقَةِ يَلهُـــــو وَالفَتَى يَشْرَبُ الخَمْرَ وَيَزْنِي
تَجِدْ الطِفْلَةَ اليَتِيمَةَ تَشْقَـــــى تَحْتَ خُدْرِ تَنُوهُ أَو تَحْتَ خَذِن

هذه الأبيات تصور ذلك الوضع المأساوي الذي عاشه الشعب الجزائري إبان الاستعمار جراء انتشار مختلف الآفات الاجتماعية، كتعاطي الخمر وارتكاب الفواحش.

وكانت الحركة الإصلاحية الاجتماعية تهدف إلى تكوين إنسان متكامل روحيا، وهذا لا يتم إلا بعامل التربية التي تكون حاجزا بينه وبين شرور الحياة، وكانت الجزائر إبان

---

[1] أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر (من سنة1945 حتى الاستقلال) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص41.

[2] محمد العيد آل خليفة، الديوان ، ص251–252

[3] المصدر نفسه، ص 110.

الاستعمار تعاني من انحطاط الأخلاق وسوء التربية وانحراف عام شمل البنين والبنات، من لهو في الأزقة وتعاطي الخمر، وارتكاب الفواحش وغيرها وهذا الشيء يندي له الجبين، وقد كان الاستعمار سببا في كل هذا.

ويعرج محمد العيد آل خليفة على ضياع المجد وغياب الوسيلة لحفظه قائلا:[1]

يا مَجْدِ مَضيـــــعُ غَيْـــرَ مَجْدَ عَضَ كَفِ عَلَيْهِ أَوْ قَرَعَ سَنّ

قِفْ مَعِي بالَجزائِرِ اليومَ واسْبِر غُورَ أَحوَالِهَا بِعيـــنٍ وأُذُنّ

هذه الصورة الموجعة جعلت الشاعر يقف موقف المسؤول تجاه وطنه وشعبه، حيث لا يكتفي بنقل الصورة المأساوية بل يتعدى إلى إصلاحها، وذلك بذكر الآفة الاجتماعية وما ينجر عنها، ثم يقوم بالترغيب في الفضائل والترهيب من الرذائل، وهذه طبيعة الحركة الاصلاحية الاجتماعية، إنها تشخيص للداء واقتراح للدواء، يقول محمد العيد:[2]

الخَمْرُ شُربَةُ رِجْسٍ أَمْ أَرْجـــاَسُ الخَمْرُ صاَعِقَةُ تَهْوِي عَلَىَ الراَسِ

الخَمْرُ فاسُ خَراب هَدمَتْ أسَـــراَ مَصُونةِ غاَثَ فِيهاَ صاَحِبُ الكاَسِ

يا شاَربَ الخَمْرِ ماَ تَرْجُوهُ مِنْ دُربِ لِلْعَرْضِ غَولُ عُقُولِ لِصَ أَكْياسِ

فَحَطَمْ الكأْسَ واهْجُرْ كُلَ رِفْقَتـــهَا تَعِشْ سَعِيداً وَتَأْمَنْ أَلْسُنَ النَاسِ

حيث وصف الداء بكل معانيه وسلبياته ثم اقترح له الدواء وهو الابتعاد عن رفقاء السوء للعيش بسعادة وهناء.

ولقد كان الانحراف الخلقي بجميع أشكاله هو السبب في تعثر الاصلاح، فلا تطور إلا باقتلاع جذوره، ومنها انحراف الفتيات وتخليهن عن آداب ملتهن وإعراضهن عن الاسلام، يقول محمد العيد في ذلك:[3]

ماَ بالُ سَيْرِ فَتاَةِ العَصْرِ مُنْحَرِفاً يَهْوى بِهَا فِي مَهَاوِيْ الإِفْكِ والزُوارِ

ماَ بالُهَا هَجَرَتْ آدَابَ مِلَتِهَـــا ماَ بالُهَا أَعْرَضَتْ عَنْ خَيرِ دشُــورِ

فِي كُلِ مَرْحَلَةِ تَـــزْدَادُ ظُلْمَتُهَا فِي الرَأي فاَقْرَأْ عَلَيْهاَ سُورةَ النُــورِ

هي صرخة واضحة من قبل الشاعر في وجه الفتاة المنحرفة وإظهار سبب انحرافها، وهو بعدها عن الاسلام وقيمة الأساسية.

---

[1] المصدر السابق، ص110.

[2] المصدر نفسه، ص281.

[3] المصدر نفسه، ص279.

إن الجانب الاصلاحي الاجتماعي عند محمد العيد، يشمل جميع مظاهر الحياة، فبعد اهتمامه بالآفات الاجتماعية الخطيرة التي شهدها المجتمع الجزائري، انتقل للحديث عن تأسيس النوادي والمراكز التعليمية كالمساجد والمدارس لما لها من دور ايجابي في الاصلاح وبناء جيل من الشباب المثقف، حيث يرى في التعلم نوراً يبددُ عتمة وجهل الأمة، لهذا دعا إلى تأسيس المدارس و المساجد قائلاً:

ابنُو المَدَارِسَ نَصْرَةً مَزدانَـــة تَحْكِي المَغَارِسَ في الرَبيْعِ المُونِعِ

وَابْنُو المَسَاجِدَ حُرةً لَيْسَتِ إلى مُتَحَـكِـمِ تَعَـزَى ولاَ مُـبْتَـدِعِ[1]

كانت المدارس والمساجد تعزز الرسالة الاجتماعية، بالإضافة إلى أهميتها العلمية وقد تعددت المدارس، فمنها المدرسة القرآنية في تبسة[2] ومدرسة الشبيبة[3] في الجزائر وكانت أبعادها الحقيقية بعث الروح الوطنية في أبناء الجزائر، وقد تطورت هذه المدارس بفعل البعثات العلمية إلى المعاهد العربية مثل جامع الأزهر والزيتونة.

إضافة إلى إنشاء المدارس، ظهرت النوادي الأدبية والجمعيات الثقافية والتي كانت هي الأخرى تهدف إلى بناء مجتمع جزائري عربي مسلم مثقف له كيان قوي قادر على مواجهة الوضع "... لا يوجد مكان في الجزائر لم ينشئ فيه العلماء منظمة بطريقة أو بأخرى".[4]

وهذه النوادي كثيرة ومتعددة، لا يمكن الإحاطة بها جميعا، وحَسبُنا أن نذكر منها " التوفيقية، ودادية العلوم الجديدة، نادي التقدم، نادي الشباب الجزائري، نادي الاتحاد الرشيدية، نادي صالح باي"[5]، ونكتفي بالحديث عن أهم المراكز التي عرفت نشاطا أدبيا واسعاً وهو " نادي الترقي 1926" وقد أسهم بدور فعال في بناء تاريخ الجزائر، وأصبح المنبر العام للإصلاح وقد احتفل محمد العيد بهذا النادي قائلاً:[6]

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 149.

[2] صالح خرفي: الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر (د، ط)، ص 151.

[3] المرجع نفسه، ص 151.

[4] أبو قاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص 423.

[5] صالح خرفي: الشعر الجزائري ، ص 139.

[6] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 92.

لِدَاءُ سَرَى فِي مَسْمَعِيْ مَا سَرَى مِيْ فَلَبَيْتُ مِنْ قَلَبِي صَدَاهُ وَ مِنْ فَمِي
نِدَاءُ سَرَى كَالْكَهْرَبَـــاءِ فَهَزَنِـــي وَمَهَزَنِي لِحَفْـــــلِ مُكَّـــــرَمِ
وَمَا هَزَنِي إِلاَ لِنَـــــادِ مُبَـــــارَكٍ يَقَلُ كَأُفُقٍ أَوْجُـــهاً مِثْلَ أَنْجِـــمِ
مَنَارُ بِهِ صَوْتُ الْعُرُوبَـــةِ يَعْتَلِـــي وَكَهْفُ بِهِ شَيءُ(البليدة) يَحْتَمِي

تعبر هذه الأبيات عن فرحة الشاعر بهذا النادي، حيث وصفه بالمنار الذي يحمل صدى العروبة، وجعله كالنجم الذي يسطع في السماء ليضيء عتمة الليل.

كما كان هذا النادي ملتقى السياسيين والعلماء: " كان ابن باديس يلقي المحاضرات في هذا النادي كلما مر بالجزائر العاصمة، وكان مركز لقاء الطبقة الجزائرية المثقفة، والزائرين الأجانب، ولاسيما من الشرق الأدنى".[1]

ويقول محمد العيد فيه أيضا:[2]

صُفْتْ سباَحَتِكَ الوُجُـوهُ وَرُدَّدتْ فِيكَ الحُكْـــــمِ
فَرَأَيْتُ ماَ يَحْلُو العَمـــــَى وَسَمعْتُ ماَ يَجْلُو الصَمَمِ
وَدَخَلْتُ ظِلَكَ أَسْتَحِـــــــــ يْرِيهِ وَأَنْعَمُ مِنْ أُمـــــَمِ
وَأَتَيْتُ مَيْدَانَ اللِسَـــــــا نِ بِهِ وَمَيدانُ القُلَـــــمِ

فهذه إشادة وتغني بهذا النادي وما يحمله من مكانة هامة، فهو محط التقاء أهم الشخصيات العلمية ومهد العلم والعلماء.

هذا بالإضافة إلى مركز قسنطينة وكانت تجري فيه المسامرات الأدبية والاجتماعية وقد أشار اليه محمد العيد في محاضرة بعنوان(سير النوادي وحظ الجزائر منها) فقال: " فهل لنا معشر الجزائريين في هذه النوادي حظ ونحيب؟ أما قبل الحرب الكبرى فلا، إلا ما وصلنا من نبأ نادي (صالح باي) بقسنطينة مند زمان، وهو اليوم خبر كان"[3] وجاء هذا بعد توقف المركز عن نشاطه.

[1] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ج2، ص 423، 424.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص99.

[3] صالح خرفي: الشعر الجزائري، ص 139.

كان عبد الحميد بن باديس قائد هذا المركز والذي بذل فيه الجهود الواسعة من تعليم وتفسير للحديث الشريف، وكتاب الله وتجويده، وتلقين الأخلاق الإسلامية، وتعليم اللغة العربية بعلومها من نحو وصرف...

وتعظيما من محمد العيد للشيخ ابن باديس نظم قصيدة بعنوان (ختمت كتاب الله) سنة1938 عند ختم الإمام القرآن الكريم تدريسا وتفسيرا، قال فيها:[1]

بِمِثْلِكَ تَعتَزُ البِـــلاَدُ وتَفْتَخِـــــرُ وَتُزْهِرُ بِالْعِلْمِ المُنِيرُ وَتَزْخَـــــرُ

طَبِعَتَ عَلَى العِلْمِ النُفُوسَ نَواشِئًـــا بِمَجْبَرِ صِدْقٍ لاَ يُدانِيهِ مَجْبَـــــرُ

وَدَرْسُكَ فِي التَفْسِيرِ أَشْهَى مِنَ الجَنَى وَأَبْهَى مِنَ الرُوضِ النَضِيرَ وَأَبْهَرُ

هذه الأبيات هي إشادة بالعلم والافتخار بابن باديس والعلوم الدينية التي يحيط بها والمهام التي يقوم بها من أجل النهوض بالبلاد والتخلص من الجهل الذي يعتريها.

ومن هذه المراكز أيضا، مركز تلمسان الذي كان له هو الآخر الأثر البارز في انتشار العلم، وكان يمثله (النادي الإسلامي، ونادي الشبيبة) بقيادة البشير الإبراهيمي، ويعد مركزا للدعوة الإصلاحية والانبعاث القومي.

لقد كان للنوادي والمراكز الثقافية شأن كبير في اليقظة الفكرية حيث كانت تستقطب الجماهير لطلب العلم، وكان لها الفضل في حفظ الثقافة العربية من رياح التغريب الاستعماري، حيث كانت الدرع المنيع والحصين للشعب الجزائري، والتي حملت له بوادر الأمل بإشراق فجر جديد، لهذا نجد محمد العيد يعيش هذه الأحداث بكل إحساس عميق، وشعور مرهف.

كما تناول الشعر الإصلاحي المرأة، والتي تعد مثالا للعفة والحب والعطاء، فهي أساس تطور الأمة وتربية الأجيال، وذكر محمد العيد المرأة في شعره، في مواطن كثيرة باعتبارها أساس المجتمع، تحافظ على أصالته بدءا من تكوين الجيل الصالح.

يقول عبد الحميد بن باديس "نريد أما تلد من يطير، ولا نريد من تطير بنفسها"[2]، وللمرأة، الدور الكبير في تربية الجيل وإعداده للمستقبل.

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص156.

[2] تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص325.

كما جعل مصطفى حلوش المرأة الجزائرية مدرسة لما تحمله من قيم ومبادئ فقال:« ..من المؤسف المحزن أن تكون الأم هي المدرسة الأولى جاهلة لا تعلم وناقصة لا تكمل، وأسف من ذلك وأحزن أن يضاف إلى جهلها ونقصها جهل الرجل ونقصانه، فتبقى مدرسة الأسرة عاطلة »[1].

هذه شهادة صريحة بدور المرأة في الأسرة والمجتمع حيث وصفها الكاتب بـــ "مدرسة الأسرة".

وقد دعا محمد العيد المرأة إلى طلب العلم والمعرفة والابتعاد عن الجهل والأمية فقال:[2]

عَلِمُوا المَرْأَةَ الحَقَائِقَ فِي الدِيـــــ نِ فَقَدْ طُوِحَتْ بِهَا الأَوْهَـــامُ

عَلِمُوهَا كَيْفَ النِظَامُ وَكَيْفَ السَـــ ـــيُ فِي بَيْتِهَا وَكَيْفَ القِيَامُ

عَلِمُوهَا كَيْفَ الوِقَايَةُ مِمَـــــــا هَاجَمَتْهَا بُشْرَةُ الأَيـــــــامُ

يحرص محمد العيد في هذه الأبيات على تعليم المرأة المسؤولية، ورعاية أبنائها وتربيتهم تربية حسنة، لهذا حث على تعليمها وتثقيفها من مناهل العلم فيقول:[3]

آتُو النِسَاءَ نَصِيبَهُمْ مِنَ الهُدَى يُخْرِجْنَ نَشْئاً كَالرِمَاحِ الشُرُعِ

فهو يدعو إلى تنشئتها تنشئة اجتماعية وطنية دينية حتى تكون مهيأة لإعداد جيل صالح وواعي.

ولم يتناول محمد العيد المرأة من الواجهة الغزلية:« إن محمد العيد لم يتحدث عن المرأة من وجهة ذاتية كالغزل ونحوه، ولم يتحدث عنها من وجهة فلسفية كجمالها الإنساني، ووظيفتها الطبيعية، بل اكتفى بالحديث عنها وعن وجهة نظر اجتماعية محضة»[4]

فمحمد العيد ينظر إلى المرأة على أنها الأم والأخت، والزوجة والبنت، فهو ينظر لها من منظور ديني مراعيا حقوقها وواجباتها، فهي نصف المجتمع وصانعته ومربية الأجيال يقول:[5]

---

[1] مصطفى حلوش: خطبة الشيخ مصطفى حلوش سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين1937، ص193–194.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص179.

[3] المصدر نفسه، ص149.

[4] أبو القاسم سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، ص111.

[5] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص575.

قُرْنَ فِي البَيْتِ إِنَهُ يَقْتَضِيكُنَ فيهِ
يَا نِسَاءُ الجَزَائِرِ
كُنَ فِي البَيْتِ لِلرَجُلِ نِسْوَةً فَدَةً المثل
يَا نِسَاءَ الجَزَائِرِ
عِشْنَ فِي البيتِ لِلْوَلَدِ هَادِيَاتِ إِلَى الرُشْدِ
يَا نِسَاء الجَزَائِرِ
عِشْنَ كَالزَهْرِ فِي السرَى آَيَةُ اللهِ لِلْوَرَى
يَا نِسَاءَ الجَزَائِرِ

كما يرى أن المرأة بحجابها وعفتها تكون سيدة المجتمع لذلك يدعوها إلى ارتدائه ليقيها من الشرور فيقول:[1]

كَيْفَ نَنْجُو مِن الشَرُورِ نِسَــاءُ لاَ يُوَارى وُجُهِهِنَ لِثَامُ؟
عِصْمَةَ المَرْأَةِ احْتِجَابُ وَصونُ وإِبَاءَ وَعِفَةَ وَاحتِشَــامُ

فالشاعر يرى أن الحجاب يقي المرأة من الشرور والبلاء والمرأة غير المبالية، لا تنجو من المضايقات في الشارع، وأن عصمتها تكمن في عفتها واحتشامها.

ويصور كذلك محن المرأة وما تعرضت له بقوله:[2]

شَكَا الطِفْلُ حَد الطَوُى وَاسْتَغَاثَ وَطَاقَتْ بِهِ أُمَهُ حَائِــرَةُ
تُنَادِيْ العُمُومَ إِلاَ مِنْ يَقُــــومِ بنَا وَأَدومَ لَهُ شَاكِـــــرةُ
تَقولُ ارْحَمُوا دِلَتِيْ يَا رِجَـــــالَ أَعِزُوا كَرَامَتِيْ الصَاغَرةُ

قدم لنا محمد العيد من خلال هذه الأبيات الصورة الهزلية التي كانت المرأة تعيشها وما تعرضت له من أوضاع مزرية وهي تستغيث، وتصور ما بلغته حالتها التعيسة المهنية. رغم كل هذه الأوضاع الاستعمارية التي عانت منها المرأة، والتي هدفت إلى تهشيم كرامتها وشرفها وإنسانيتها وكذلك أمومتها، لكن كل هذا التضييق باء بالفشل، كون المرأة الجزائرية أصيلة وعفيفة.

[1] المصدر السابق، ص179.

[2] المصدر نفسه، ص252.

يقول محمد العيد في قصيدته "دمعة منهمرة على فتاة منتحرة"[1]

أَدَرْتُ عَلَيْكَ دُمُوعَهَا الأَلْـــــذَاءُ يا زَهْرَة عَصَفَتْ بِهَا النَكْبَاءُ

أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ مِنْ تَسْفِير شَاهِــقٍ يَخْشَى الوُقُوفَ بِجَنْبِهِ الجُرّاءُ

عَرَضَتَ عِرْضَكِ لِلظَنُونِ وَعِسْفُهَا ءانَ الظنونَ مَظِيَةٌ عَمْيَـــاءُ

فهذه الأبيات معبرة عن حالة المرأة، وما تعانيه من اضطهاد مسلط من طرف المستعمر الغاشم، وهي في حرب دائمة للحفاظ على شرفها.

إن الثورة الجزائرية حفظت في ذاكرة التاريخ نساء كثيرات من اللواتي عشن ومتن في سبيل الوطن، فقد أثبتت مكانتها في المجتمع بما كانت تقوم به من دور بطولي في الثورة التحريرية، لهذا نقل محمد العيد عملها الشجاع في ساحات الجهاد بصورة دقيقة، وموقفها المشرف في الثورة فيقول في قصيدته "ثورة بنت الجزائر".[2]

سَاهِمِي فِي الجِهَادِ جُنْدُ الجِهَادِ وَأَعِيدِي الفدا لنَصْرِ البِــلادِ

يا فَتَاةَ البِلادِ شَعْبُكِ نَـــادَى فَاسْتَجِيبي بِعَزمة للمُنَــادي

أَنَا ثَورِيةُ سَلاَمًا وَحَـــــرْبًا فِكْرَتِي عُدَتِي وَعِلْمِي زَادِي !

أَنَا بِنْتُ الجَزَائِرِ اليومَ أَقْضِي حَقَ أُمِي بِخِدْمَتِي وَاجْتِهَادي

هكذا كانت المرأة الجزائرية مدرسة الأسرة حيث كان لها الأثر الواضح في البيت والجهاد إلى جانب الرجل "والمرأة في الثورة ليست أما فحسب، ولكنها البنت الثائرة الجندية في جيش التحرير"[3].

وبهذا يعد محمد العيد أكثر الشعراء الإصلاحيين الذين اهتموا بالمرأة ونقلوا ما عانته بصورة واقعية كما اعتبرها أساس بناء المجتمع، لهذا دعا إلى صيانتها وتنشئتها تنشئة صالحة حتى تستطيع النهوض بمهمتها في بناء جيل صالح ومجتمع سليم.

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان ، ص477.

[2] المصدر نفسه، ص430.

[3] الوناس شعباني: تطور الشعر الجزائري منذ 1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص108.

الجانب السياسي الثوري

شعره الثوري قبل الثورة

يعتبر الشعر المرآة العاكسة لعواطف الشعب وانفعالاته، وأحلامه وطموحاته، ويعد محمد العيد آل خليفة من بين الشعراء الذين سخروا أقلامهم للدفاع عن قضايا وطنهم المختلفة، خاصة وأن الجزائر مرت بمرحلة حرجة جعلتها تحت وطأة الاستعمار الذي عمل على طمس هويتها ورموزها الوطنية.

فقد تناول شعره أحداث وطنه بكل تفاصيلها، مصورا درجة الظلم والقمع الذي تعرض له شعبه، فحارب المستعمر بلسانه وقلمه، وكان يدعو للثورة على المستعمر وتوحيد الصفوف لاقتلاع لهيب الطغيان، وتطهير الأرض الزكية من رجس الأعداء، فجاء شعره تعبيرا عن الأحاسيس التي تخالج صدر الشعب.

الثورة على المستعمر والدعوة إلى الجهاد.

عرفت الجزائر استعمارا استيطانيا استهدف كيانها وجعلها تعيش ظروفا مزرية في جميع مجالات الحياة، مما أدى إلى تبني الأدباء والشعراء شعار الدفاع عن قضية وطنهم ونقل الأحداث الراهنة، وتوعية الشعب عن طريق الدعوة إلى شحن الهمم وعقد العزم لإقامة ثورة ضد المستعمر الذي أهلك الأرض والزرع وهدم مقومات المجتمع الجزائري، ودعا إلى دمجه مع المجتمع الفرنسي لجعل الجزائر قطعة من فرنسا، وبهذا خرج الشعراء الجزائريون عن صمتهم وكان من أبرزهم محمد العيد آل خليفة الذي سخر قلمه لتصوير الراهن والدعوة إلى الجهاد يقول فيه مصطفى بلمشري: « إن محمد العيد انطلق من صميم الواقع والمجتمع ثورة وجهادا من أجل تحقيق النصر وتحطيم قيود الاستغلال، ففتح في شعبه لهيب الوطنية فثار لاقتلاع لهيب الطغيان، وتطهير الأرض الزكية من رجس العدو الغاضب فكان شعره صدى لهذه الأحاسيس التي تختلج في صدر الشعب، وإننا نلمس بوضوح عمق عروبته ووطنيته وتمسكه القوي بأصالته، إن شعره سيبقى نبراسا يضيء الدرب الثوري للأجيال تلو الأجيال، ويغرس في نفوسهم معنى التضحية، وكيف تكون من أجل أن يبقى معززا مكرما وحرا على أرضه»[1].

[1] مصطفى بلمشري: الاتجاه الثوري في شعر محمد العيد آل خليفة، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، السنة العاشرة، العدد5-6 مارس أفريل1980، ص97.

حيث اعتبر مصطفى بلمشري شعره مرآة تعكس بصدق عواطفه وانفعالاته، ولسان الشعب الذي يعبر عن آلامه وطموحاته وأحلامه، كما دعا إلى اليقظة: « حيث أخذ الشعر يدعو إلى الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال ويدعو إلى مقاومة الاستعمار، وأخذ يدعو إلى الإصلاح الاجتماعي»[1].

لم يتوان محمد العيد في دعم القضية الجزائرية، فكانت أشعاره ذات البعد الثوري كثيرة تدعو إلى ترك الخوف وتحقيق الحرية بكل شجاعة، يقول:[2]

أُنَادِيكَ لِلْخَيْرِ خَيرَ النـــــــــدَا وَأُوصِيْكَ بِالحَقِ خَيْرَ الوَصِيَةِ
ذُرَ الخَوفِ تَعْرِفَ ثَنَايَا يَاالسُلوكَ فَمَنْ هَابَ خَابَ وَضَلَ الثَنِيَــةِ
رَأَيْتُ المَنَايَـــا سَبـــيلَ المُنَى فَخَاطِر نَصْبَ مَنِيَةِ أو منيــة

هذه الأبيات هي تحذير من المستعمر، وبطشه وصرخة للالتفاف وإعلاء راية الحق والخير وترك الخوف من أجل نصرة هذا البلد.

يواصل محمد العيد دعوته للجزائريين من أجل تجنب سهام العدو والقيام بالتضحية واتخاذ الجبال حصونا منيعة وتقديم النفس فداء للوطن:[3]

أَيَا ابْنَ الحُنَيْفِيَةَ اخْلَعْ كَـرَاكَ فَأَنْـــوارُ صُبْحِكَ تَتْوى جَلَيةَ
تَجْمَع مِنْ حَولِكَ الصَائِـدُونَ وَأَنَــكَ لِلصَائِدِيْنَ الرَمِّيـــــةَ
فَطِرُو ابنَ وَكْرِكَ بَيْنَ الصُخُورِ مَعَ العَصَمِ فِي الشَاهَقَاتِ العَلَيةَ
وَنَفْسُكَ بِعْهَـــا مَعَ البَائِعَيِينَ كِـــرامَ النُفُوسِ لِبَارِي البَرِيَةَ

هذه الأبيات هي دعوة صريحة للجهاد وبيان الكيفية التي بواسطتها يتم القضاء على المستعمر انطلاقا من الجبال.

تعددت أشعار محمد العيد في المجال الثوري وتضمنت دعوته إلى النضال والتحرر من قيود المستعمر ففي قصيدته "يا قوم" يقول:[4]

يَا قَومَ هُبوا لاغتنام حَيَاتِكُـمْ فَالْعُمْرِ سَاعَاتُ تَمُرُ عِجَـالاً
الأَسْرُ طَالَ بِكُمْ فَطَالَ عَنَاؤُكُمْ فُكُوّا القُيودَ وَحَطَّمُوا الأَغلاَلَ

فهو يقدم النصائح والإرشادات للشعب ويدعوه للثورة على الأوضاع المزرية وتحطيم القيود والأغلال.

---

[1] أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر (من سنة1945حتى الاستقلال)، ص79.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص417.

[3] المصدر نفسه، ص418.

[4] المصدر نفسه، ص339.

يتنقل الشاعر بعد ذلك إلى وصف رغبة الشعب الجزائري في الحياة والعيش في وطنه بسلام واستقلال يقول:[1]

الشَعْبُ ضَجَ مِنْ المَظالمِ فانْشُدوا حُرَيَةَ تَحْمِيهِ وَاستِـــــقَلَالاَ
لاَ أُمِنُ إلاَ في ظِلاَلِ مُرَفْـــرَفِ حُر لَنَا عَالٍ يُنِيـــــرُ هِلَالاً
مِنْ فَوْقِ جُنْدٍ بِالعَتِيدِ مِنْ القُوى يَلْقَى العدُو وَيَصْمُدُ اسْتِبسَالاً
وَإِذَا أَرَادَ الشَعْبُ نَالَ مُـــرَادَهُ وَلَو أَنَهُ كَالنَجْمِ عَزَ مَنَـــالاً

ينقل الشاعر رغبة الشعب في الحرية، والتخلص من الظلم والاضطهاد الذي يعيشه، ويصور لنا اشتياقه لليوم الذي يرفرف فيه العلم معلنا عن حريته، محاولا إحياء الأمل في النفس للنهوض وتحقيق الحرية.

لم يتوقف محمد العيد عند نقل الأحداث بل تعداها إلى بث روح المقاومة، والفداء في نفوس الجزائريين، حيث توالت القصائد الداعية إلى الثورة والجهاد والوقوف في وجه المغتصب يقول في قصيدته "ذكرى المؤتمر" التي ألقاها في الذكرى الأولى للمؤتمر الإسلامي سنة1937.[2]

فَقُمْ يا ابنَ البِلادِ اليومَ وَانْهَضْ بَلاَ مُهْلٍ فَقَدْ طَالَ القُعـُودُ
وَقُلْ ابنَ البِلادِ لكـــــــلِ لِصٍ تَجَلَى الصُبْحُ وَانْتَبِهِ الرُقودُ
فَخُضْ يا ابنَ الجَزَائرَ في المَنَايَا تَظْلَكَ البُنُودُ أَوَ اللحـــــُودُ
وَلاَ تَيْأَسْ مِنَ الفَوزِ المُرْجَـــــى فَقَدْ يَحْضَرُ بَعَد اليُبْسِ عَودُ

تضمنت الأبيات صرخة واضحة ودعوة صريحة من الشاعر للثورة، وإيمانه الراسخ بأن النصر هو حليف المقاومة.

يواصل دعوته لخوض غمار الحرب، لاقتلاع جذور الاستعمار من أرض الجزائر قائلا:[3]

مَنَ لِلْجَـــزَائِرِ يَفْتَـــــدِ بِهَـــــا مِنْ سَفَهِ السَفَلِ؟
يـــاَ مَشْهِرِينَ مِنَ العزَائِمِ مِثْـــلَ مُرَهَفَةِ الأَسِـــــــلَ
خوضُوا بِهَا الأَمواَجَ وَاءَ لُوا الشَهْبَ وَاقْتَلِعُوا القَلَلِ
مَنْ قَالَ جَلَ عَدوُكَـــــمْ قُولُـــــوهُ المَوْلَى أَجَـــلِ

[1] المصدر السابق، ص340.

[2] المصدر نفسه، ص304–305.

[3] المصدر نفسه ، ص421.

فهو بهذا يريد إيصال قناعته الراسخة للشعب الجزائري بمدى خبث المستعمر، وأنه يجب شحن الهمم من أجل اقتلاع جذوره وإخراجه من أرض الجزائر.

مما لاشك فيه أن قصائد محمد العيد كان لها الأثر العميق في نفوس الشعب، كيف لا وهي تعبر عن آماله وآلامه، حيث كانت معانيها بمثابة الدواء لما تعانيه صدورهم، فيتفاعلون معها بالبكاء، يقول فرحات بن الدراجي:« كان للقصيدة تأثير عميق على نفوس الحاضرين فبكى الناس وبكى الشاعر معهم...هذه هي أول مرة شاهدت فيها شاعر العروبة والإسلام في الجزائر يبكي ويبكي»[1].

فمحمد العيد يتميز بالنزعة الثورية والروح الثائرة والأمل الفياض، والعاطفة الصادقة في شحن الهمم لثورة على المستعمر ومقاومته « فإن حيز ألوان الشعر عند الأوطان والمجتمعات ما جاء قويا ملتهبا مستعمرا للنفوس دافعا إلى النضال، لأن هذا الشعر يجدد الهمم ويبث العزائم ويحرص على المكرمات»[2] .

هذا ما تجسد في شعر محمد العيد، يقول في قصيدته "في يوم باتنة العظيم".[3]

أَصَابَكِ يَا جَزَائِرُ عَهْدَ بِسُوءٍ ظَلَلْنَا بَائِسِيْنَ بِهِ خَزَايَـــــــا
أَعِيْدِي لِلْوَرَى عَهْدَ سَنِيـــــا رَقَيْتُ بِهِ إِلَى الرُتُبِ السَنَايَـــا
وَلاَ تَخْشَ رَزَايَا فِيْكَ طَــالَتْ مَدَى وَسَتَنْجَلِي عَنْكِ الرَزَايَـــا
وَتَنْقَشِعُ المَظَالِمُ بـــــَائِدَاتِ عَلَى صَوْتِ الْمَطَالِبِ وَالشَكَايَـــا
بِلاَدِيْ لاَ تَرَكْتُ إِلَى بَغـــاَةٍ تَشِينُكَ بِالفَسَادِ وَلاَ بَغَايـــــا

خص الشاعر الثورة بالرعاية والاهتمام، ودعا إلى الأمل والتفاؤل والتطلع نحو غد أفضل وأن الحرية قادمة وأن الاستعمار مآله الزوال والفناء.

تعتبر أحداث8 ماي1945 من أبرز الأحداث في الجزائر، كان ذلك مع نهاية الحرب العالمية الثانية وخروج الجزائريين للمطالبة باستقلالهم ونيل حريتهم في الشوارع والساحات رافعين شعارات تنادي بالمساواة والحرية، إلا أن ذلك قوبل بالرفض من طرف المستعمر الفرنسي.

---

[1] أبو القاسم سعد الله: محمد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ط2، (د– ت) دار المعارف بمصر، ص41.

[2] الشرباصي أحمد: سلاح الشعر، دار القومية للطباعة والنشر، (د– ت)، ص124.

[3] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص218.

جعل الثامن ماي الشعراء يخرجون عن صمتهم ويعبرون عنه بكل صدق وقوة «إن هذا الحدث خلف في نفس كل جزائري جراحات لا تندمل وذكرى لا تنسى، وهذه الصدمة كان لها دوي في الميدان الأدبي»[1].

ويعد محمد العيد من الشعراء الذين تفاعلوا مع هذا الحدث المأساوي حيث تناول شعره إرهامات المقاومة، والدعوة إلى محاربة المستعمر« ولقد حركت المأساة قرائح الشعراء فجاهروا في شعرهم بنعمتهم وبدعوتهم إلى الكفاح من أجل الحرية والاستقلال فتحول الشعر مع الحركة الوطنية من موقف الرفض والدفاع إلى الدعوة للهجوم والحرب»[2].

وقد عبر عن عاطفته المتأججة تجاه هذا الحدث الجلل بقصيدة "لا أنسى" التي يقول فيها:[3]

أَأَكْتُمُ وَجدِيْ أَمْ أَهْدئ إِحْسَاسِيْ وَ(ثامن ماي) أَجْرَحُـــهُ مَالَهُ آسِيْ
وَأَرْقَبُ مِمَنْ أَحْدَثُوه ضِمَـــادَهُ وَهُمْ فِي جِمَاحٍ لَمْ يَمِيْلُوا الإِسْـلاَس
تَمُرُ اللياَلِيْ وَهُوَ يُدْمِي فَلَمْ تَجِدْ لَهُ مَرْهَمًا مِنْهُمْ سِوَى العُنْفَ وَاليأْسَ
إِذَا مَا رَجُونَا بُرْأَةَ ثَرَّدَافَقَـــا بِأَحداثِ سِوَى وَقْعِهَا مُؤْلِمْ قَاسِـــي
فَيا لِجَرِيحٍ ظَلَ يَنْكَـــأُ جَرْحَهُ وَيُؤْذِيْ بِلاَد ذنب عَلَى أَعْيُنِ النَاس
وَيا لِضَعِيفِ فِي الشُعُوبِ مُعَذبُ غَذَا تَحْتَ نيرِ الظُلْمِ مُنْحَنِي الرَاسْ

هذه القصيدة هي تعبير عن الحقد الدفين والكره الشديد للعدو، فمحمد العيد يصف شعوره ونفسيته المضطربة، والجراح العميقة التي خلفتها تلك الأحداث، إنها صورة تترجم إحساس الشاعر بمعاناة وطنه جراء ما خلفه المستعمر في النفوس.

ثم ينتقل إلى وصف المأساة، وتصوير جرائم المستعمر، وما خلفته تلك المجازر الدامية فيقول:[4]

فَضَائِعَ (ماي) كَذَبَتْ كُلَ مُزْعَمٍ لَهُمْ وَرَمَتْ مَا روجُوهُ بِإِفْـلاَسِ
دِيَارِ مِنْ السُكَانِ تُخْلَى نِكَايَـةً وَعَسِفًا وَأَحْيَاءُ تُسَاقُ لَأَرْمَـاسِ
وَشَيْبُ وَشُبَانُ يُسَامُونَ ذِلَـةً بِأَنوَاعِ مَكْرٍ لاَ تَحدِ بِمِقِيـــــاسِ
وَأَحْبَاسِ شَرٍ أَجمَعَتْ سُجَنَاؤُهَا ومُعْتَقَلُوهَا أَنَهَا شَرُ أَجْنَـــــاسِ

---

[1] أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر (من سنة1945 حتى الاستقلال)، ص80..

[2] سلمان نور: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1988، ص319–320.

[3] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص325–326.

[4] المصدر نفسه ، ص326.

وَمُعْتَقَلاتِ فِي العَرَاءِ مُبِيـــــدَةُ عَلَيْهَا لُصُوصُ فِي مَلاَبِسِ حُرَاسِ
وَعَيْدُ مِنْ البَيْضِ الحِسَانِ أُوانسْ تُهَانُ عَلَى أَيْدِيْ أَرَاذِلَ أَنْكَـــاسِ
وَيَسْلِيْنَ مِنْ حُلِي لَهُنَ مُرَصَـــعُ بِكُلِ كَرِيْمِ مِنِ جُمَانِ وَأَلْمـــــَاسِ

يصف الشاعر في هذه الأبيات العذاب المسلط على الشعب الجزائري، والديار الخالية والمحروقة، وزج ملايين المواطنين في السجون، والقتل الذي تعرضوا له دون تمييز، وإهانة النساء وسلب حليهن.

وصف محمد العيد إحساس الشعب، وما يشعر به من ألم جراء ما عاشه من صور بشعة للقتل، والحرق والتنكيل معبرا عن استياء الجزائريين من الشكوى التي لا تنفع فيقول:[1]

فَيَالَكَ مِنْ خَطِبِ تَعَدَرَ وَصْفَـــــهُ فَلَمْ تَجَرَأْ قَلاَ ماَ بِهِ فَوْقَ أَطْرَاسِ
سَئِمْنَا مِنْ الشَكْوَى إِلَى غَيرِ رَاحِمِ وَغَيْرَ مُحِقَ لاَ يُدِيْنُ بِقِسْطَـــاسِ
فَيَاً أَيُهَا المُسْتَعْمِرُونَ تَنَزَهُـــــوا وَلاَ تَسْئَمُوا وَجْهَ الحَيَاةِ بِأَرْجَاسِ
وَلاَ تَطْمَعُوا أَنْ تَسْتَلِينُوا قُلُوبَنَـــا فَتِلْكَ قَنَـــاةُ لاَ تَلِيْنُ لحَســـاسِ
وَيَا أَيُهَا الشَعْبُ المُرُوعُ لاَ تضــق بِدُنْيَاكَ دِرْعًا أَطْرُحَ خَلِقِ اليَــأْسِ

يواصل الشاعر هجومه على المستعمر بفضحه وإظهاره على حقيقته وأن وعوده مجرد أكاذيب، لا تعدو أن تكون سراجا خادعا، وأن الحرية أصبحت حقيقة حتمية، وأن على الشعب أن يستعد للعمل ضد هذا المغتصب يقول:[2]

وَمَا وَعْدَهَمْ إِلاَ سَرَابُ بَقِيْعـــةَ وَمَاَ عَهْدَهُمْ إِلاَ مِدادُ بِقِرْطَـــاسِ
وَيَاَ أَيُهَا الشَعْبُ المُرُوعُ لاَ تَضِقْ بِدُنْياكَ ذَرْعاً وَأَطرَحْ خَلْقَ اليَاسِ
وقُلْ لِلذِي آذَاكَ لاَ وصْلَ بَيْنَنَـــا وُمُوعِدُنَا العُقْبَى فَماَ أَناَ بِالنَاسِي

هذه الأبيات هي تعبير صادق عن عاطفة الشاعر جراء هذا الحدث، ودعوته للشعب الجزائري بعدم اليأس والتحلي بالصبر، والعمل لتحقيق المبتغى.

لقد عاش محمد العيد الحدث، وعاناه وجدانيا ثم عبر عنه من منطلق ممزوج بالدم والألم والحسرة والحزن، حيث وبعد المأساة التي ألمت بالجزائر وشعبها أصبحت قصائده أكثر جرأة للدعوة إلى النهوض ضد المستعمر " فبعد الحرب العالمية الثانية، وبعد واقعة 08

[1] المصدر السابق، ص327.
[2] المصدر نفسه، ص327.

مايو الرهيبة بدا الشعار عهدا جديدا في الحكم على السياسة، فلم يعد شعاره الهدوء والرفق والحذر والاتعاظ بالسالفين العاثرين بل أصبح شعاره المقاومة والقتال:[1]

حَيَاتُكَ حَرْبُ لِضَعِيْفِ بِهَا قَوياً أَبَياً أَنَ تُذَلَ وَ تَخْضَعَا"

كما تناول الدعوة الصارخة إلى استنهاض العزائم واغتنام الفرص لكسر قيود الاستبداد، ورفض الظلم، وتحقيق الحرية والاستقلال ورفع العلم الجزائري عالياً يقول:[2]

حُثُو العَزَائِمَ وَاصْدَقُوا الآمـــَالاَ إِنَ الزَمَانَ يُسَجِلُ الأَعْمَــالاَ

يَا قُومَ هُبُو لِاغْتِنَامِ حَيـــَاتِكُمْ فَالْعُمْرِ سَاعَاتِ تَمُرُ عِجَــالاَ

الأَسْرُ طَالَ بِكُمْ فَطَالَ غَنَــاؤُكُمْ فُكُوا القُيُودَ وَحَطِمُوا الأَغَالاَ

لاَ أُمِنَ إِلاَ فِي ظِلاَلِ مُرَفـــْرَفِ حُر لَنَاَ عَـــــالٍ يُنِيرُ هِلاَلاَ

مِنْ فَوْق جُنْدِ بِالْعَتِيدِ مِنَ القَوِي يَلْقَى العَدُو وَيَصْمُدُ اسِتِبْسَالاَ

هذه القصيدة تضمنت معاني حماسية لتنير الجماهير، فهي بمثابة التعبئة للثورة ضد المستعمر.

وكانت قصيدته "يا هزاري" التي نشرت في جريدة البصائر سنة 1951م[3] عبارة عن التلميح لإرهامات ثورته تبشر بالثورة الجزائرية يقول:

عَاطِنِي منْ خُمرَةِ الآَمالِ جامِحاً إِنَ فيهاَ نَشْوَةَ تُحْي العِظَامَـــــا

إِنَ فِيهَا لِي برْدًا وَسَلامـــــــاَ ومِنْ لَظَى اليَأْسِ وَمِنْ نارِ الخَسارِ

وَادعُ لِي ذاَتَ الفَخَارِ يا هَزارِي !

أَشْرَقَتْ مِثـــــلَ الـــــدِرارِي وَرَنَـــتْ خَلـــــْفَ السِتـــــَارِ

تَرْتَجي خَوضَ الغِمارِ يا هَزَارِي!

إِنْ تَكُنْ وَلَهَانَ فِيهاَ مُسْتَهَامَـــاً فَاقْتَحِمْ مَعْقِلَهَــا الوَعِرِ اقتحامَـــا

أَوُ تُرَدُ مِنْهَا التِفَاتاً وَابْتِسَامَـــاً فَتَــرَنَمْ بِأَهـــــَازِيجَ الضَــوارِي

وَتَهَيأْ لِلطَوارِي يا هَزَارِي!

---

[1] أبو قاسم سعد الله: محمد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ص 109.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 339.

[3] المصدر نفسه، ص 49.

فهذه الأبيات هي جرعة من الأمل يبثها الشاعر في الجزائريين، أراد بها انتزاع الخوف من النفوس والتأهب لخوض غمارة الثورة والحصول على النصر والحرية.

كان الهدف الأول من الثورة المباركة هو الحصول على الاستقلال و يعد محمد العيد من أكبر المتحمسين لذلك:" ولعل محمد العيد أول من صرح بالاستقلال والحرية والعلم والجيش الوطني من بين إخوانه الشعراء....."[1].

ولقد بقيت ولازالت أحداث 8 ماي راسخة في أذهان الشعب الجزائري، فكيف ينسون شهر من الدم والدموع والجراح التي خلفتها تلك النكسة، لذلك تحولت لغة القلم إلى لغة السلاح وهذا من خلال التجربة التي اكتسبها الجزائري من الحرب العالمية الثانية " اكتسب الشعب الجزائري تجربة جديدة وفكرة نبهته إلى حقيقة المستعمر وإلى الواقع الذي عاش فيه أمدا طويلا، والفكرة التي اهتدى إليها هي أنه لا أمل في تحرير البلاد بدون كفاح مسلح ".[2]

شعره الثوري أثناء الثورة وبعدها.

مرحلة الإقامة الجبرية:

بعد الأحداث التي عاشتها الجزائر جراء الاستعمار، وتفاعل شعرائها وأدبائها مع هذه الوقائع أقدم المستعمر على جملة من القرارات المجحفة في حقهم، ومن بينهم محمد العيد الذي فرضت عليه الإقامة الجبرية بمنزله، وظل تحت الرقابة طوال أيام الثورة التحريرية فمنع من الخروج والاحتكاك بالناس، مع التعرض لحملات المضايقة والتفتيش بين الحين والآخر، رغم كل هذا الخناق الذي فُرض عليه إلا أن الشوق الذي يعتريه فاق كل الحدود وتجاوزها وامتد ليعانق القلوب عبر كامل الوطن العربي والذي عبر عنه مالك حداد بقوله" محمد العيد .... لازلت أحتفظ بذكرى تلك القاعة في دمشق، ... تلك القاعة التي وقفت كلها تقديراً وإعجابا لسماع هذا الاسم، في تلك الظروف الدقيقة حيث كان من الصعب جداً التمييز بين الجزائر والشاعر...."[3].

وبهذا بلَّغ محمد العيد شوقه وولعه بالحرية لجميع أقطار العالم العربي ظل محمد العيد معزولا على العالم الخارجي، إلا أن ذلك لم ينقص من عزيمته فها هو يتخذ من الرمز أداة له للتعبير عما يجول بخاطره فتحولت العزلة إلى إسهام حقيقي وحضور قوي في عمق

---

[1] أبو قاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 45.

[2] أنيسة دركات درار: أدب النضال في الجزائر (من 1945 حتي الاستقلال)، ص 79.

[3] حداد مالك: "لقاء مع محمد العيد"، المنبر الثقافي لجريدة النصر، عدد صادر يوم السبت 13 ماي 1967.

القضية الوطنية فهو مثلاً يقف شامخاً صامداً ليناجي " أبا المنقوش" وهو جبل موجود بإحدى ضواحي مدينة "بسكرة" الذي كان معقلاً للثورة فيقول:[1]

أَبَا المَنْقُوشِ هَلْ تَدْرِي بِحالِـــي فَأَنْتَ اليَومَ جَارِي فِي الجِبَالِ
بَسَكَرَةَ النَخِيلِ حَطَطْتَ رَحلِـــي وَأَنْتَ بِأَرْضِهَا حامِي الرِحَالِ
رَأَيْتُكَ مُشْرِقـــاً أَبداً عَلَيْهـــا كإِشرَافِ الوَلِي عَلَى العِيــالِ
رَمَانِي حَوْلَ سَفْحُكَ مَوجَ ذَهْرِي أَسيـــراً بَعدَ أَحداثِ طِــوالِ
فَغِشْتَ بِهِ كَيُونُسَ فِي سِقـــامِ لَدَى قَومِي وَلَكِنْ فِي انــعِزالِ

هذه الأبيات هي تعبير عن نيران العزلة التي يعيشها الشاعر فلا يجد غير "أبا المنقوش" يناجيه ويشكوه الأيام وتقلباتها، فهو هناك يختلف عن الجبل الذي هو الذرع الحامي للمجاهدين الأبطال وقد استحضر قصة " يونس" عليه السلام وما كان يعانيه في اليم، وذكر الشخصيات الاسلامية لإظهار مدى الشدائد والصعاب والصبر عليها لتحقيق المبتغى.

ظل محمد العيد في إقامته الجبرية يرسم الثورة بكل جوارحه، ويصور حالة الحرمان من المشاركة فيها، هذا ما جعله ينشد النصر القريب فيقول:

مَتَى يَأتِي بِربِكَ نَصْرُ شَعبٍ يُقَاسِي كُلَ أَلوَانِ النِكـــــالِ
مَضَتْ حِجَجٌ لَهُ خَمسَ شِدادٍ وَمَوطِنُهُ بِنارِ الحَرْبِ صَــالِي
أَكُلُ عُصُورِهِ أَمدٌ اضْطِهــادِ وَكُلُ عُهــودِهِ أَمَدٌ احْتــــلالِ؟
لَقَدْ بَذَلَ الفِدَي ثَمَنًا وَضَحَى بِكُلِ دَمٍ عَزِيزٍ منهُ غـــــــالِي
فَهلْ آنَ الأَوانُ لهُ لِيَحْظَــى بِمَا يَرْجُوا المُجاهِدُ منْ مَنَالِ؟

هذه الأبيات عبارة عن تفاؤل وتساؤل عن اليوم الأكبر، وأنه آت لا محالة، والواضح أن القصيدة قالها بعد مرور خمس سنوات من النكسة وهذا في قوله (مضت حجج له خمس شداد) والثورة اندلعت 1954.

ظل الشاعر ثابت المشاعر في عزلته واثقاً أن النصر مرتبط براية جيش التحرير الوطني، رغم الحالة التي كان يعيشها من أيام الظلم المضنية إلا أنه استبشر برؤية طائر " أبا بشير" الذي اقتحم عليه عزلته وكسر عليه جدار الصمت، مبشرا إياه بانفراج الهم ونهاية

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 425.

الأزمة فتفاعل معه محمد العيد بقصيدة مفعمة بالشوق والانتصار بعنوان " مناجاة بين أسير وأبا بشير" فيقول:[1]

حزمْتُ بِقُربِ إطلاقِ الأَسيرِ غُداةَ سَمِعْتُ صَوتَ أَبي بَشِيرِ
فَقُمْتُ مُرحِباً بتَنْزِيلِ يُمْـنِ عَلَـــى بِكُلِ إِكْـــرامِ جَدِيرْ
وجِئتُ أَبُثُهُ بِحِــواري سِراّ وَمَنْ لِلْحُرِ بِالصَــوتِ الجَهِيرْ
أُنَاجِيهِ بِآَمــالِي وَحـــالِي وَأَسْتَفْتِيهِ عَنْ شَعْبِي الكَسِيرْ
كماَ نَاجَا الأَميرُ أَبُو فِرَاسِ حَمَامَتَـــــهُ بِشِــعرٍ مُسْتَثِيرْ

هذه الأبيات بشرى وتفاؤل نابع من الثقة بأن الثورة المباركة منتصرة وأن إطلاق أسره قد قَرُبَ.

تأثر محمد العيد "بأبي فراس" مع حمامته ثم تساءل عن حالة شعبه الكبير وشكى له حاله، ثم طلب من ضيفه أن يكون رفيقه في تلك الليالي قائلاً:[2]

فَقُلتُ أَباَ بشِيرِ أَنتَ ضَيــفُ قَرَاكَ الشِعْرُ لاَ حَبُ الشَعِيرِ
رَأَيْتُكَ فَابْتَهَجْتُ فَكُنْ سَمِيراَ لِمُشتاَق إِلىَ سَمْرِ السَمِيــرِ

يواصل الشاعر مناجاته لضيفه " أبا بشير" وأنه فال الخير والبركة وموزع الآمال والاحساس بأن نصر الجزائر صار قاب قوسين أو أدنى فيقول:[3]

فقالَ: لقَدْ أَتَيْتُكَ منْ بَعِيــدِ فَأَضِع إِلَى وَأَرْوُ عَنِ الخَبِيرِ
لَهَا أَصْغَى (سليمان) قَدِيمًا إِلَى أَبْنَاءِ الهُدهُدِ الصَغِيـــــرِ
سَيَحْمَدُ شعْبُكَ العَقْبَى قَرِيباً وَيُحْرِزُ نَصْرَهُ بِيَدِ القَدِيـــــرِ
وَيَشْهَدَ بَعَثَ دولَتِهِ فَيرْضَى وَيحظَى بِالهِلاَلِي المُنيـــــرِ

هي بشرى صريحة بالخلاص من الاستعمار، رغم أن محمد العيد ألقاها على لسان "أبي بشير" إلا أنها الحقيقة التي تعتريه وقد استفتى "أبا بشير" عن حالة أمته، كما استفتى(سليمان عليه السلام) هدهده فأتاه من سبأ بنبأ يقين، فنجد ألفاظه مستوحاة من القرآن الكريم وقصصه التي تزيد الشعر قوة.

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص422.

[2] المصدر نفسه، ص422.

[3] المصدر نفسه، ص423.

دعا محمد العيد من خلال شعره، بعدم السماح بتسلل ذلك الشعور بالفشل والهزيمة، بل أكد يقيناً بأن النصر صار وشيكاً حتى وإن كان عدد الضحايا يفوق الآلاف، فإنما هم شهداء يُعَبدون الطريق بدمائهم الطاهرة للحصول على الحرية و الوصول إلى الهدف الأسمى فيقول:[1]

وَمَا شَعْبُ الجَزائرِ غَيرَ شَعْبٍ سَخِي بِالفِدَى حُرَ الضَمِـــيرِ
وَحَسْبُكَ ثورةُ الأَحْرارِ حُكْماً أَخَيرَ مِنهُ فِي العَهْدِ الأَخِيـــرِ
لَقَدْ ضَحَى بِثَورتِهِ فَأَضْحَـــى بَهَا فِي الصَبْرِ مُنقَطِعَ النَظِيرِ
وَلاَ تَزْعِجْكَ آلاَفِ الضَحَايـــاَ وَمَا أَجْراهُ مِنْ دَمْعِهِ الغَزِيـــرِ
فَتِلْكَ شَهادةُ الشُهَداءِ فِيـــــه وَذَلكَ أَجْرُ مَطْلَبُـــــهُ الكَبيـــرِ

ثم يواصل محمد العيد معايشته للواقع المرير بكل صدقٍ مستبشراً باستقلال الجزائر ومؤمناً بالنصر، متفائلاً بمستقبل مضيئ لا تشوبه شائبة يقول:[2]

أَتَى استِقلاَلَهُ حَتْمًا فَأَبْشِـــرْ وَبَشِرْ ما لِقَولِكَ منْ نَكيرْ
وَدَعَ عنْكَ التَشَاؤُمَ فَهُوَ وهْمُ وَهْمُ لَيْسَ يَحْمِلُ بِالبَصِيرِ
فَلَيسَ لِأُمِهِ بالْحَق ثَـــــارَتْ مَصِيرَ غَيرَ تَقْرِيرِ المَصِيرِ

هكذا عاش محمد العيد عزلته بمدينة بسكرة، لا يحلم إلا بانتصار الجزائر وانعتاقها من ظلمات الاستعمار.

وصف بطولات جيش التحرير:

اندلعت الثورة التحريرية واهتزت لها مشاعر الجزائريين كبيراً كان أم صغيراً وتغنى بها وأشادوا بانتصاراتها متفائلين بالحرية والاستقلال، ومخلّدين مآثر الشهداء " لقد اندفع الشعراء الجزائريين يشيدون بواقع الثورة وبتصوير أحداثها ويتحدون انتصارات أبطالها وشهدائها الأبرار"[3] فتدفقت الثورة في شريان الجزائريين كأنها جرعة من الدماء الممتلئة بالأمل والفرحة، هذه الأحداث جعلت محمد العيد يعيشها وينقلها بكل قوة وعاطفة صادقة كيف لا وقد تغلغلت داخل وجدانه وكيانه فترجمت إلى صورة حية من خلال شعره.

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص387.

[2] المصدر نفسه، ص427.

[3] أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر (من سنة 1945 حتى الاستقلال)، ص 114.

صور محمد العيد التدفق القوي لأفراد جيش التحرير ونقل انتصاراتهم المتواصلة على المستعمر، وكيفية تسلحهم بالإيمان والصبر لأنهما أساس الوصول إلى بر الحرية والنجاة، فهم يسيرون إلى ساحات المعارك وقلوبهم تتمنى الشهادة في سبيل الله والوطن وهذا ما نلمسه في قصيدته "جيش التحرير" يصف لنا من خلالها قوة وصلابة الثورة، وبسالة جيش التحرير في المعارك قائلاً:[1]

نَحْنُ جَيْشُ التَحْرِيْرِ حَبَذاَ للنِضَالُ نَحْنُ أُسُدُ الفِدَى خُمُورْ النِّزَالِ

استهل الشاعر بيته الشعري بضمير الجمع "نحن" لتعميم الثورة على جميع أفراد الشعب، فأشاد ببسالة أفراد جيش التحرير، مشبها إياهم بالأسود في القوة والشراسة والهيبة.

كما صور لنا الاستعداد للثورة حينما حلت ساعة الجهاد، ووقوف الشعب الجزائري وقفة رجل واحد، معتصما بالإيمان متخذا من الجبال دروعا حصينة، يقول الشاعر:[2]

دَمْدَمَ الطَبْلُ للتَغْيِيرِ فَثُرْنَا وَهَزَرْنَا البِلاَدَ كَالزِلْـــــزَالِ

وَاتَخَذْنَا مِنَ الجِبَالِ قِلاَعاً نُقْرِعُ السَمْعَ بِالصَدَى كَالجِبَالِ

هذه الأبيات وما تحمله من قوة في الأسلوب وفخامة في الألفاظ وصور مثل(دمدم الطبل)، تترك أثرها العميق في النفوس، وتشحذ الهمم نحو مقارعة العدو.

ثم ينتقل محمد العيد إلى وصف الإنتصارات الكثيرة للجيش والتي سحق من خلالها العدو قائلاً:[3]

فَالإذاَعَاتِ تُنبِئُ النَاسَ عَنـــاَ بِانتصاَراتِنَا بِكُلِ مجَـــــالٍ

كمْ أَقَمنَا شوَاهِدَ الحَق فِيهَـــا وَضَرَبْنَا شَوارِدَ الأَمْثَـــــالِ

واَقْتَحَمْنَا الهَيجاَءَ نَارَ تَلَظَـــى كُلَ ضَالٍ مِنَا بِها لاَ يُبـالِـي

وأَدَرْنَا رَحبَ الُغَى فانتَصَرْنَـــا وَأَدقْنَا الأَعْداَءَ منْ النِكـــالِ

وَقَبرنَا استِعمَارِهُمْ وَفَكَكْنَـــــا شَعْبَنَا منْ سَلاسِلِ الأَغْلاَلِ

تشير هذه الأبيات إلى تحفيز الأبطال الشجعان من طرف وسائل الاعلام ووصف قوة وبطش جيش التحرير، بالإضافة إلى الافتخار به، بعد قيامه بقبر الاستعمار وفك القيود والأغلال التي تطوق الشعب.

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 427.

[2] المصدر نفسه، ص427.

[3] المصدر نفسه ، ص427.

ثم ينتقل إلى وصف أخلاق جيش التحرير العالية في معاملته للأسرى والنساء والأطفال، والالتزام بالوعود يقول:[1]

فَاسَأَلُوهُمْ عَنْ رفْقَتِنَا بالأَسَارِي وَاحْتِرَامِ النِسَاءِ وَ الْأَطْفَالِ
واسْأَلُوهُمْ عَنْ رَعْيِنَا للمبَــادِي وَوَفَاءُ الوُعُودِ بِالأَفْعـــَالِ

هذه الأبيات هي وصف للأخلاق التي تحلى بها جيش التحرير والتي أقرها الإسلام ومثال ذلك(الاحترام، الوفاء بالوعود، التمسك بالمبادئ).

كما تميز جيش التحرير بالصبر والايمان عند اللقاء، وأنه جيش لا يتأخر عن مواعيده يقول:[2]

نحْنُ صِدقَ عندَ اللِقاءِ وَصَبْرِ في اشتِدادِ البَلاَءِ والأَهْوالِ
كُلُ منْ كَانَ مِثلُنــَا فَهُوَ رَمزُ صادِقٌ لِلجَزائِري المِثَــالي

قدم هذا الجيش أجمل الصور وأصدقها في الصبر على الشدائد والأهوال، فأصبح رمزا للمقاومة والنضال من أجل حماية الوطن، يقول محمد العيد:[3]

قَدْ رَكَزناكَ في القُلوبِ لِتَبْقَى وَمَنَحْنَاكَ بِالفِدى كُلَ غَالِ
وَحَرسْنَا حَماكَ مِنْ كُلِ عــَادِ وَسَهَرْنَا عَلَيْكَ سُوْدَ اللَيالِ

هذان البيتان هما وصف للمكانة التي يكنها الشعب الجزائري لجيشه، وما يقدمه من أجل حماية الشعب والوطن.

اتخذ الشاعر من حب الوطن سببا من أسباب الانتصار، ومنطلقا أساسيا لتفاني جيش التحرير في الدفاع عنه، فكان درعا حاميا من بطش العدو، حيث ضحى بالنفس والنفيس من أجل إعلاء راية الحق والحرية.

حث محمد العيد أبناء وطنه على احترام جيش التحرير والافتخار به في قصيدة عنوانها: "تهيئة الجيش وتحية العلم".[4]

أَقِمهُ مقَامَ الرُوحِ في الجِسْمِ وَاحْتَفِظْ بِهِ مُسْتعــــزاً إنَــــهُ أَنفُسُ النَّخْرِ
وَأَعِلَ هُتَفَاتِ التَحَايَاــــ مُرَحِبـــــاً بِجَيْشِكَ واَسْتَقبلهُ مُنْشَرِحَ الصَــدرِ
وَقَدِمْ إِلَيْهِ (الغـــار) جُذْلانَ باَسِمــاَ فَقَدْ عادَ بِالزَيْتُونِ منْ ساَحَةِ النَصرِ

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 427.

[2] المصدر نفسه، ص 477.

[3] المصدر نفسه، ص428.

[4] المصدر نفسه، ص432.

تَطوعَ بِالتَجْنيدِ لِلشَعبِ فَاخـــــــرَةٌ بِحَمَدِ عَلى حَمْدٍ وشكرُ على شكـرِ

هذه الأبيات هي إشادة وتغن بأمجاد جيش التحرير وما قدمه من أجل وطنه، لذلك فالشاعر يحث الشعب على استقباله أحسن استقبال والإعلاء من شأنه والافتخار به.

ثم يستوحي محمد العيد من معاني القرآن الكريم، ويضمنها شعره حتى يزيد المعنى جلالة يقول:[1]

وَثَارَ علَى خُوارِ الطُغَاةِ بعاصِفِ كَعَاصِفِ عادٍ في سَعْيِهَا العَنْبَرِ
فَكانَ عَلَى الأَعْداءِ عِمْلاقُ ثَورَةٍ وَمَسْعَرَ حَرْبٍ في مَعَارِكِهِ الحُمْرِ
سُنُو يُوسُفَ البَعِ شِدادِ تَصَرَمَتْ وَأَعقَبَهَا عامُ الإِغاثَةِ وَالعَصْـرِ

يشبه الشاعر سنين الثورة السبع بليالي "قوم عاد" حين سلط الله عليهم عاصفة ريح قوية.

فالبيت الأول تضمين لمعنى الآية الكريمة قال تعالى:« **وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**» [2].

وفي البيت الأخير يشبه كذلك سنين الثورة بسنين سيدنا "يوسف" عليه السلام فأخذ من قوله تعالى:« **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** »[3].

ثم يطلب الشاعر منا أن نسأل جبال الجزائر التي تحمل تاريخ هذا الجيش وأمجاده وكفاحه قائلا:[4]

سَلُوا عَنْهُ أَطْوادَ الجَزَائِرِ إِنَ فِي صَفَائِحِهَا ذِكْرَى صَحَائِفِهِ العُرِ
سَلُوا عَنْهُ أَطْوادَ الجَزَائِرِ إِنَهَـا مَعَاقِلُهُ اللاتِي بِهَا كَانَ يسْتَدرِي
سَلُوا عَنْهُ أَطْوادَ الجَزَائِرِ كُلَهـا فَغَارَاتِهِ فِيهَا تحُلُ عنْ الحَصْـرِ

يصف الشاعر الجبال التي وقعت فيها معارك كثيرة، وسجل فيها جيش التحرير أكبر انتصاراته، فكانت معاقل الثوار أكبر شاهد على ذلك، كما وصف عدة الجيش البسيطة التي

---

[1] المصدر السابق، ص432-433.

[2] سورة الحاقة، الآية6-7.

[3] سورة يوسف، الآية47-48-49

[4] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص433.

بواسطتها استطاع أن يحقق الانتصار على قوة الاستعمار الغاشمة، فلا يوجد أعظم من ثورة نوفمبر التي ثارت ضد الظلم والطغيان، وكانت هي السبيل الأنجع لتحقيق الحرية يقول مصطفى بلمشري : « فراح شعبنا يناضل ويجاهد بكل صلابة وعنفوان متحديا الصعوبات والعقبات التي واجهت مسيرته الثورية المظفرة مؤكدا بذلك أصالته المبدئية وعمق إيمانه وحبه لوطنه، وهذا محمد العيد الذي لا يتخلى عن شعبه بل بقى ملازما له، يحرك عواطفه الوطنية ويهز شعوره الثوري ليدفع نار الاستعمار وطغيانه وظلمه الذي لا حدود له»[1].

هكذا يتضح أن شعر محمد العيد صورة من صميم الواقع والمجتمع والثورة من أجل تحقيق النصر وتحطيم القيود، وترجمة لأحاسيس الشعب وبيان انتمائه لوطنه وتمسكه بأصالته، وأنه سيضل الشعلة التي تنير درب الثورة.

تعد الوطنية أرقى إحساس يشعر به الفرد تجاه وطنه الأم ويعتبر محمد العيد من بين الشعراء الوطنيين الذين تناولوا قضية وطنهم بكل تفاصيلها، وأكبر دليل على ذلك ديوانه الشعري الذي تناول مختلف القضايا الوطنية وأهم جوانبها.

كانت القضايا الوطنية المتناولة متنوعة فجاءت إصلاحية دينية للدفاع عن الإسلام والمسلمين وإعلاء راية الحق، وكذا اجتماعية حملت مجموعة من الإرشادات لمختلف شرائح المجتمع معا، أما الجانب الثوري فكان جرعة من الأمل، والدعوة إلى الثورة على المستعمر لنيل الحرية.

[1] مصطفى بلمشري: الاتجاه الثوري في شعر محمد العيد آل خليفة ، ص98.

الفصل الثاني: البعد القومي.

مفهوم القومية.

*قضايا الوطن العربي في شعر محمد العيد آل خليفة.

قضية فلسطين.

قضية مصر.

استقلال ليبيا.

استقلال السودان.

العروبة والوحدة.

مفهوم القومية:

لغة:« قوم: القيام: نقيض الجلوس قام يقوم قوما وقياما وقومة، وقامة » [1].

الجماعة من الرجال والنساء جميعا، وقيل هم الرجال دون النساء ويأتي ذلك في قوله تعالى:« **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ** »[2]، وبمعنى آخر فإن القومية هي مجموعة من الأشخاص سواء أكانوا رجالا أم نساءا يعيشون في مجتمع واحد "أي رجال من رجال ولا نساء من نساء فلو كانت النساء من القوم لم يقل ولا نساء من نساء، وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته"[3].

اصطلاحا:

اختلف العديد من الباحثين في وضع تعريف دقيق للقومية، غير أن الاتفاق هو أنها شعور جماعة من الناس بالانتماء والارتباط الباطني، بما يربطهم من روابط مشتركة، أي أن القومية يقصد بها جملة العوامل المعنوية التي تربط جماعة إنسانية وتجعلها في إطار وحدة تعرف بالوحدة القومية، وتعرف هذه الجماعة باسم الأمة، يعرفها منيف الرزاز بقوله: «الحقيقة أن القومية لا تحدد بأي عامل من هذه العوامل إنما تحدد أولا وآخرا بشعور مجموعة من الناس بأنهم أبناء قومية واحدة...فإذا ضعف هذا الشعور فلن ينفع القومية اجتماع كل أركانها، وإذا قوى هذا الشعور أن لا تشترك إلا في أسباب قليلة جدا من أسباب القومية»[4].

في حين يعرفها كمال الدين رفعت بأنها:« صفات ثابتة مشتركة في مجتمع معين تعطيه اسم الأمة، وهي التي تكون الأمة الواحدة، وتحدد الوطن الواحد، وهي وحدة المشاكل التي تواجهها هذه الأمة ووحدة العوامل التي تسيطر على تكوينها وعلى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ووحدة الحلول التي تحتل المشاكل وتعالجها»[5].

فالقومية شعور يربط أفراد الأمة ببعضهم البعض، وهذا الشعور ليس مجرد عواطف سطحية، ولا يكون إلا إذا توفرت المقومات المشتركة بين الشعوب.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، المجلد الثالث، المادة (قوم)، ص195.

[2] سورة الحجرات: الآية11.

[3] ابن منظور: لسان العرب.

[4] منيف الرزاز: معالم الحياة العربية الجديدة نقلا: عن عبد الله الريماوي: القومية والوحدة في الحركة القومية العربية، القسم الأول النظري، ط1، دار المعرفة، 1961، ص51.

[5] ختام العناني ومحمد عصام طرية: التربية الوطنية والتنشئة السياسية، دار حامد، عمان، الأردن، 2007، ص31.

***قضايا الوطن العربي في شعر محمد العيد آل خليفة:**

واكب الشاعر العربي قضايا أمته رغم الظروف الاستعمارية التي مر بها، سواء تعلق الأمر بالاستعمار الأجنبي للأرض العربية خاصة فرنسا أو بريطانيا أو الاحتلال الصهيوني.

والجزائر رغم الحصار المحيط بها من طرف الاستعمار« كانت هناك نافذة صغيرة تتطلع منها الجزائر إلى الخارج....لقد كان تطلعها نحو جهة واحدة معينة من جهة الشرق وكان تعبيرا عن إحساس وجداني وأخوي تثيره الروابط والمصائر المشتركة»[1]، فكان ما حل بالوطن العربي من ويلات الاستعمار في الدول العربية لم يمنع الشعراء من تتبع الأحداث القائمة في البلدان الأخرى معبرين عن ذلك بشعرهم« وكان الشعر وسيلة قوية وأداة فعالة في توجيه الجماهير لأنه عبر بصدق ومعاناة عن الهم العربي الذي يحمله شعراؤنا»[2] ولقد تناولت القصيدة الجزائرية بعض القضايا العربية بكل أحداثها وتفاصيلها« والقضايا العربية بكل حيثياتها وملابساتها ومؤثراتها واحدة أيضا بعض الحقب والسنوات، لذلك ألفينا القصيدة الجزائرية تردد الكثير من التاريخ العربي والمغربي برموزه وشخصياته وأحداثه»[3]، كل هذه الأحداث أثرت في الشعراء ومن بينهم محمد العيد الذي كان حاضرا ومعبرا بقصائده المتميزة والمبرزة للهوية والدين إذ جسدوا صورة ذاكرة العربي التي لم ننس ولن تنسى معاناة الأمة العربية في ظل الظلم والقهر ومن بين القضايا العربية التي تفاعل معها، قضية فلسطين التي كانت في مقدمة القضايا التي تحدث عنها ويعتبرها بمثابة قضية مثلما ينظر إليها الشعب العربي في شتى أقطار العروبة.

ومن هذه القضايا أيضا قضية مصر أرض الكنانة، أضف إلى ذلك فرحته العارمة باستقلال ليبيا والسودان ويعتبرها بمثابة استقلال للأمة العربية، وقد شكلت الوحدة العربية لدى الشاعر أحد أبرز انشغالاته واهتماماته، فكان لسان حال قومه العرب يغضب لهم ويثور لكرامتهم ويفرح لانتصارهم.

---

[1] سعد الله أبو القاسم: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص107.

[2] السيد نور الدين: القضية الجزائرية عند بعض الشعراء العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980، ص13.

[3] عبد المالك ضيف: الخطاب الشعري الجزائري المعاصر وإشكالية الانتماء الحضاري، ص183.

قضية فلسطين:

من القضايا الانسانية التي حظيت باهتمام متزايد من طرف أدباء وشعراء الجزائر قضية فلسطين، فكانت منبعا ثريا لإلهامهم الشعري « ولسنا في حاجة إلى أن نعدد الروابط التي تربط بين فلسطين والجزائر.... كما أننا لا نحتاج إلى أن نضرب أمثلة للمقارنة بين حالة الجزائر وحالة فلسطين. »[1]

قضية فلسطين قضية إنسان ظلم في حقه وجرحت مشاعره من خلال الدمار والخراب الذي قام به الصهاينة، فكان الشعر الجزائري مند مطلع هذا القرن وبداية النهضة الأدبية يعبر عن إحساس ومشاعر الشعب الفلسطيني الذي يعيشه تحت ضغط الاحتلال الصهيوني.
فالجزائر وفلسطين عاشا نفس التجربة لكون كل منهما عرف الاستعمار وهذا الاحتلال لا يضر فلسطين فقط بل، يضر بالأمة العربية فنجد "عمر راسم" يعلق على الصهاينة بقوله:« بأن التفاهم مع الصهيونية مستحيل، لأن في ذلك اعترافا بهم وبزعامتهم، والبلاد المقدسة اشتراها آباء العرب بدمائهم» [2] .

والشاعر محمد العيد من أكثر الشعراء تناولا للقضية الفلسطينية وأكثرهم حديثا عنها وعن مآسيها " وكانت الحروب التي تدور في فلسطين تحفز الجزائريين وتدفعهم إلى التطوع والتبرع وحمل السلاح كما تدفع الشعراء إلى تبني هذه المعارك"[3]، استطاع محمد العيد أن يبرز التواطؤ الكبير بين الاستعمار البريطاني والصهيونية على أرض الوطن " لما قامت الثورة الفلسطينية عام 1936، وكادت تقضي على النفود البريطاني والوجود الصهيوني وشعرت بريطانيا بالخطر فأخذت تتكل بالأحرار من أبناء الوطن أحس محمد العيد بالخطر على هذا الجزء من الوطن العربي وأدرك أن يد بريطانيا وراء كل مؤامرة تعرضت لها فلسطين"[4].

---

[1] ركيبي عبد الله: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 41.

[2] المرجع نفسه، ص 41.

[3] سعد الله أبو قاسم: محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ص 191–192.

[4] ركيبي عبد الله: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 56.

فكتب قصيدة " بني التايمز" يهاجم فيها الإنجليز ويتحسر على حال أولى القبلتين يقول:[1]

بَنِيْ الْتَايْمَزْ ْقَدْ جُرْتُمْ كَثِيراَ فَهَلْ لَكُمْ عَنِ الْجُورِ اِزْدِجارَ

أَفِي أَسْوَاتِكُمْ نَصْباَ وَغَصْبَا تَسُومُ القِبْلَةَ الأُوْلَى التُجَارَ

إِخَالَ الْقِبْلَةَ انْسَجَرَتْ دِمَاءَ كَماَ لِلْبَحْرِ بِاللجِجِ انْسِجارَ

يهاجم الإنجليز ويشير إلى اعتدائهم على العرب، متسائلا متى ينتهي هذا الظلم ويضع حدا لهذه الاهانة، ويتأسف على بيت المقدس وما حدث لها من طرف الصهاينة وما حل بها من دمار، وللشاعر نظرة خاصة لليهود أفردته عن باقي الشعراء فيرى أنهم كأبناء عم للعرب حتى وإن كانت نظرته تالية، فإنه يبتعد عن التعصب لدينه وعرقه فهو يؤمن بجميع الأديان السماوية:[2]

تَشاَجَرَتْ الْعُمُومَةِ فِي ذِراَهَا وَلَوْلاَكُمْ لَمَا وَقَعَ الْشِجاَرَ

غَداَ الْعَبْرِي لِلْعَرَبِي خَصْمــاَ بِهَا وَكِلاَهُمَا لِأَخِيهِ جــاَرَ

تَرَوْنَ لَهاَ سِوَى الْعَرَبِي أَهْلاَ وَتَأْبَى الْتُرْبَ فِيهاَ وَالْحِجَارَ

يثور محمد العيد من خلال هذه الأبيات على الإنجليز، فهم السبب في إثارة الفتنة والحرب، وكانوا السبب في الصراع بين العرب المسلمين في فلسطين وبين اليهود، وهذا ما دفع العربي لأخذ الثأر لوطنه فنادى الشاعر قومه قائلا:[3]

أَمْ يُؤْلِمُكُمْ حَرَمُ مُبَــــاحِ وَشَعْبُ يَسْتَجِيرُ وَلاَ يُجـــــاَرُ

وَنَكْبَةُ أَوْجُهِ بِالْكَشْفِ نَحْرُ لمثلِ جَمَالِــهَا صُنِعَ الْعِجــــاَرُ

لَمَ احْتَجَتْ لِظُلْمِكُمْ وَضَجَتْ وَلَكِنْ فِي قُلُوبِكُــــمْ انْفِجَــــارُ

إِذَنْ فَالْحَرْبُ لِلْعَرَبِي دَأْبُ وَهَلْ تَخْفَى (البَسُوسَ أَوْ الْفِجاَرُ)

شَدَدْتُمْ قَهْرَهُ غَلاَ انْفِجــاَرُ وَعَقِبَــه شِدَةَ الْقَهْــــرِ انفجــار

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان ، ص 374.

[2] المصدر نفسه، ص 374.

[3] المصدر نفسه، ص 374.

أحس الشاعر بالخطر الذي يهدد القدس وأقر حق العرب فيها قائلا:

يا قِسْمَةَ القُدْسِ أَنْتَ ضَنِيزِي لَمْ يَعْدِلْ الْقَاسِمونَ فِيكَ
مَضُوا عَلَى الْحِيفِ لَمْ يُبَالُوا بِمَا جَرَى مِنْ دَمٍ سَفِيكِ
القُدْسُ لِلْعَرَبِ مِنْ زَمَـــــانِ لَمْ يَقْبَلُوا فِيهِ مِنْ شَرِيكِ

يشعر الشاعر بالحزن على تقسيم القدس، وعدم مبالاة لجنة "بيل" بهذا التقسيم وما يحدث من سفك الدماء، كما يرى أن القدس للعرب مند القدم ولن يقبلوا شريكا يقاسمهم إياها.

يتحدث الشاعر عن غدر انجلترا وتآمرها مع الصهيونيين حتى باعوا فلسطين قائلا:[1]

يَالَنَدْرا لَوْ دَرَى بَنُونَـــا لَمْ يَأْمَنُوا الغَدْرَ مِنْ بَنِيكِ
إِخَالُ شَعْبَ اليَهُودُ يسرَا سَبَاكِ بِالمَسْجِـــدِ السَبِيْكِ
أَهَكَذَا تَفْصِلُ القَضَايَـــــا بِحُكْمِهَا لَجْنَـــــةَ المَلِيْكِ؟
قَدْ دَلَ طُغْيَانُ إِنْجلتْـــــرَا عَلَى فَنَـــــاءِ لَهَا وَشِيْكِ

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن ألاعيب إنجلترا، وعدم دراية أهل القدس بأهداف المستعمر، ثم يتساءل عن التقسيم المجحف في حق الفلسطينيين، ويختم بيته بأن الطغيان لن يدوم وأن مآله الفناء والزوال.

ففي قصيدة "استودع شعرك" يطلب من الجزائر تقديم المساعدة لنصرة القدس التي تعيش تحت وطأة الاستعمار:[2]

هَلاَ أَغَثْتَ الْقُدْسَ مِنْكَ بِلَفْتَـــــةِ غَيْرى عَلَى شَعْبٍ هُنَاكَ مُرَوَع
القِبْلَةُ الأُولَى تَصِيحُ وَتَشْتَكِـــــي مِنْ قِسْمَةِ المُسْتَأْثِرِ المُسْتَنْقَعِ
ضُمِي احْتِجَاجَكِ لاحْتجَاجَ حُمَاتِهَا وَاسْتَنْكِرِي تَقْسِيمَهُ وَاسْتَفْظِعِي

وفي قصيدة "بلادي" يتحدث عن الفظائع التي ارتكبها الصهاينة:[3]

وَفِي الْمُقَدَسِ البَاكِي الحَزِينِ فَظَائِعِ تَوالتْ وَأَنكَادِ طَغَتْ ومَآثِمِ

البيت المقدس أصبح حزينا وممزقا لما يحدث له من مآس متتالية:

---

[1] المصدر السابق، ، ص314.

[2] المصدر نفسه، ص147.

[3] المصدر نفسه، ص138.

"واجتاح العرب حماس متفجر سنة1947 وما بعدها، وأخذ الشعراء في الجزائر يلهبون حماس الناس للمعركة"[1]

فكانت قصيدته "فلسطين العزيزة" يسودها الحماس والطاقة، وسخر كل طاقته الحماسية والفنية، مخاطبا فلسطين يطمئنها بأن العرب لن يتخلوا عنها:[2]

فِلسطِين الْعَزِيزَة لاَ تُرَاعِـي فَعَيْنُ الله رَاصِدَةٌ تُرَاعِـي
وَحَوْلَكِ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ جُنْدٌ شَدِيدُ الْبَأْسِ يَزْأَرَ كَالسِبَاعِ
وَإِذَا إِسْتَصْرَخْتهُ لِلْحَرْبِ لُبَى وَخف إِلَيْكِ مِنْ كُلِ البِقَاعِ
يَجُودُ بِكُلِ مُرتَخِصْ وَغَالِي لِيَدْفَعَ عَنْكِ غَارَاتَ الْضِبَاعِ

يشير الشاعر إلى العرب وشجاعتهم بتقديم مساندتهم للفلسطينيين ضد الصهاينة فهي غالية على قلوبهم.

ويوجه الشاعر توبيخا إلى اليهود الذين يصفهم بالجبن والخداع معبرا بصدق عن شعوره، قائلا:[3]

وَكَيْفَ يُصَادِفُ الْعَبْرِي نَجَحَا وَمَا أَخْلاَقُهُ غَيْرَ الْخِـــــداعِ
قَدْ اشْتَهَرَ الْيَهُودِ بِكُلِ قُطْـرِ بِأَنَ طِبَاعُهُمْ شَرَ الْطِبَـــــاعِ
قَد اغْتَرَ الْيَهُودُ بِمَا أَصَابُوا بِأَرْضِ الْقُدْسِ مِنْ بَعْضِ الْقِلاعِ
مَتَى كَانَ الْيَهودُ جُنُودَ حَرْبِ أَكِفَاءَ الأَعَارِبِ فِي الْصِـــرَاعِ

يقارن الشاعر بين العرب الشجعان وبين العبرانيين الذين اشتهروا بالجبن والخداع.

ويندفع الشاعر في حماس كبير موجها كلامه للفلسطينيين قائلاً:[4]

فِلَسْطِين الْعَزِيزَة لاَ تَخَافِي فَإِنَ الْعَرَبَ هَبُـــوا لِلدِفَاعِ
بِجَيْشٍ مُظْلِمٍ كَاللَيْلِ غَطَـى حَيَالَكِ كُـلَ سَهْلٍ أَوْ بِقَـاعِ
وَمَا أَسْيَافُهُ إِلاَ نُجُـــومَ رُجُومَ لِلْيَهـودِ بِلاَ نِـــزَاعِ
يُرَابِطُ فِي ثُغُورِكَ مُسْتَعِدًا عَلَى الْأَهْبَاتِ لِلْأَمْرِ الْمَطَـاعِ
سَيَهجُمْ مَنْ مَرَاكِزِهِ عَلَيْهِمْ هُجُومَ الآكِلِينَ عَلَى الْقِصَـاعَ
وَيَتْرُكُهمْ عَلَى الْغَبْرَاءِ صَرْعَى وَمَا أَنْصَارُهُمْ غَيْرَ النَوَاعِي

---

[1] عبد الله الركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، (د ت)، ص 48.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 334.

[3] المصدر نفسه، ص 334.

[4] المصدر نفسه، ص 334.

يتضح في هذه الأبيات أسلوب القصيدة وهو الأسلوب الجزل الذي يعمد إلى الصور القديمة ويستمد وسائله من التشبيهات المعروفة للسيوف، كما أنه يصور استعداد العرب للمعركة التي تجمعت لها الجيوش العربية تنتظر الأمر بالهجوم.

وفي ختام القصيدة يهدد الصهاينة:[1]

وَقُلْ ماَ شِئتَ عَنَا مِنْ دَعَاو غَرَائبَ أَنْتَ فِيهَا ذُوا اختراَعِ

فَإِنَ جَوابَنَا لَكَ عَنْ قَرِيــب يَكُونُ بِمَا تَرَى لاَ بِالسَمــَاعِ

يمدح الشاعر العرب ويصفهم بالشجعان، وأن ردهم سوف يكون قريبا في ساحة المعركة.

في الأخير يمكننا القول إن الشاعر محمد العيد من أكثر الشعراء حديثا عن فلسطين وعن أحداثها الكثيرة، فسخر لذلك عديد القصائد معبرا عن إحساسه وحبه العميق لفلسطين ومدى تعلقه بها وإيمانه القوي في استرداد كل الأرض الطاهرة المقدسة.

[1] المصدر السابق، ص 335.

قضية مصر:

كان محمد العيد آل خليفة من أبرز الشعراء الذين حاولوا إلى جانب دفاعهم عن قضايا وطنهم الأم، ومواجهة الاستعمار الفرنسي بالقلم والحبر للخوض في غمار السياسة القومية مبرزا قضايا أمته الانسانية بوعي تام، فنجده يمد بصره ويجول بشعره متنقلا بين أحداث الوطن العربي، ومن بين هذه القضايا قضية مصر وهي من القضايا القومية التي شغلت بال الشاعر " في سنة 1952 ألغيت معاهدة 1936 التي كانت قيد لمصر فقام الإنجليز بأحداث مؤلمة في منطقة القتال"[1]، فتفاعل محمد العيد مع هذه الأحداث ونظم قصيدته "يا مصر" يدعو فيها الشعب المصري للجهاد والمقاومة:[2]

أَغَارُ عَلَى الْكِنَانَـــةِ شَـــرَ عَادِ فَقُلْ: يَا مِصْرَ حَيَ عَلَى الْجِهَادِ
أَعِدِي كُلَ بَأْسُكِ وَاسْتَعِـــــدِي لِرَدِ الزَاحِفِيـــنَ بِلاَ أَتْئـــادِ
جَنُوا بِاسْمِ الْحِمَايَةِ مِنْكَ حِينـــاَ مَجَـــانِي زَوَدَتْهُـــمْ خَيْرَ زَادِ
وَكُنْتَ لِجَيْشِهِمْ فِي الْحَرْبِ حِصْنَاَ تُحَطِمُ عِنْدَهُ زَحْفَ الْأَعـــادِي

يحث الشاعر الشعب المصري على الثورة والجهاد ومقاومة الإنجليز واتباع نهج أجدادهم الذين لم يكن يرضيهم الذل والهوان، وأن يكون جيشه قويا يحمي وطنه أمام الأعداء، ويقوى على دحرهم وإيقاف زحفهم:

فَشُنِيْهَاَ عَلَيْهِمْ حَرْبَ ثَأْرٍ وَشَبِيْهَاَ لِظَى ذَاتِ اتْقَـادَاَ
وَخُطِيْهَاَ كَتَائِبَ غَيْرَ كُتُبٍ وَصُحُفَاَ مِنْ دَمٍ لاَ مِنْ مِدَادِ

يدعو الشاعر المصريين إلى شن حرب ثأر على الإنجليز، يعتمدون فيها على السيف لا على الورق والقلم، فالحل الوحيد السلاح والقوة فهي اللغة الوحيدة التي يقتنع بها المستعمر وكل ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة:[3]

وَلاَ تَثِقِيْ بِوَعْدِ غَيْرَ صِدْقٍ تَأَلَقَ كَالْسَرَابِ لِكُلِ صـــاَدِ
يُرَادُ بِهِ الْمَطَالُ بِغَيْرِ جَدْوَىَ وَتَضْمِيْدِ الْجِرَاحِ بِلاَ ضَمَادِ

[1] محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 344.

[2] المصدر نفسه، ص 344.

[3] المصدر نفسه، ص 345.

ينبه الشاعر المصريين إلى وعود المستعمر الكاذبة التي تراعي مصلحته فقط، وذلك من أجل البقاء لمدة طويلة وفرض هيمنته وحكمه وسيطرته على المصريين، سائلا عما حل بمنطقة القَنَال:[1]

فَآهُ لـــ (الْكِنانَةِ) مَنْ يَقِيهَـــا جَحَافِلْ زاَحِفَاتْ كالْجَـرادِ؟
بـــ (مَنْطِقَة القِتَالِ) تَصُولُ تِتْهَا وَتَدْعُوا الْآمِنِينَ إلى الْبِدَادِ
وَغَيْرَ مُقِيمَةٍ لِدَمِ الْضَحَايـــــاَ بِهَا وَزْنَا وَأَرْوَاحِ الْعِـــبَادِ
تَحِلُ بِهِمْ عَوَادِيْ سافِـــــرَاتَ وَتَزْعَمُ دَفْعَ أَسْبَابِ العَوَادِي
وَآهُ (لِلْسَويس) تَسَـــامُ عَزْلاَ مَطُــوقَةِ بِأَسْلاَكِ حِـــدَادِ
وَآهُ (لِلْقِنالِ) فَقَدْ تَبـــــدَتْ بِهِ الْأَجْوَاءِ حالِكَةَ السَّــوادِ
وَوَا أَسَفاهُ بِالآَهـــــاَتِ جُدْنَا وَمَا بِالْنَفْسِ فِيْنَا مِنْ حَواءِ

كل هذه الأحداث المؤلمة حركت نفس الشاعر فقاسمهم آلامهم وأحزانهم نتيجة الدمار الذي ارتكبه المستعمر على أبناء القنال فقد دمرت القنال وخربت فبقيت المنطقة يعمها الظلام، في حين لم يبال المستعمر بدماء الشعب وأرواحهم، وهو ما جعل الشاعر يتحسر على قنال السويس التي قام بتدميرها الإنجليز فصارت مقيدة بأسلاك من حديد، فأصبحت منطقة القنال يسودها الظلام حيث غدت الأجواء كئيبة مؤلمة، شديدة السواد، جعلت الشاعر يتأسف على الخراب الشديد الذي أصاب المنطقة، ويتجرع الأسى والحسرة والغصة الخانقة جراء المآسي التي تعرض لها أبناء مصر ويتساءل عن رفع السلاح قائلا:[2]

أَكُلُ سِلاَحُنَا (رَفْعُ احْتِجـــــــاَجِ عَلَى الْعُدوانِ أَوْ فَتْح اعتمادِ
وَلاَ يَحْمِي الْمُواطِنَ الْمُواطِنَ غَيْرَ جُنْدِ سَخِيٌ بِالْفِدَى دارِي الزنـــاَدِ
فَعُـــــذْراً يا بَنِي (الْأَهْرَامِ) عُــذْراً لَقَدْ قَصُرَ المُرِيدُ عَنِ المُــرادِ
غَمَرْتُمْ شَعْبَنـــا مِنَنـــاَ جِسَامـــاَ ونُبْتُمْ عَنْهُ فِي النُوَابِ الشِدادِ
وَكُنْتُمْ لِلثَّقَـــــــافَةِ خَيْرَ رُسْـــلِ بِتَأْسِيسِ الْمَعَاهِدِ فِي الْبِــلادِ
وَكَمْ لِلْأَزْهَرِ الْمَعْمـــــورِ فَضْـــلُ عَلَيْنَا كَلُّ يَومٍ فِي اِزدِيـــــادِ

يتساءل الشاعر بداية إن كان رفع السلاح للاحتجاج فقط، أم لتحقيق الفتوحات ثم يجيب بأن العداء والقوة(داري الزناد) هما أساس دفاع الحق عن الوطن ويتأسف إزاء

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص312.

[2] المصدر نفسه، ص345.

الشعب العربي الذي لم يقدم لمصر أي سند ولم يدافع عنها في أوقات الشدائد مثلما دافعت هي عن الثورة الجزائرية إبان الاستعمار، فهو يصف المكانة العالية التي وصلوا إليها من ثقافة وعلم بسبب المعاهد الموجودة في البلاد، كما ينوه الشاعر بفضل الجامع الأزهر بمصر، ويطمئن الشعب المصري:[1]

فَبَينَ مُجَاوِرِيْهِ لَنَا جُنُودٌ تُؤَمَّلُ أَنْ تُرَدَّ إِلَى مَعادِ
لَكُمْ حَقاً عَلَيْنَا أَلْفَ حَقاً حَمَادِ لَكُمْ إِشْتَقْنَا حَمَادِ

يطمئنهم الشاعر بوجود جنود في البلدان المجاورة مستعدة لحمايتهم في أي وقت تنتظر إشارة للانطلاق للدفاع عن مصر وهذا من حقوقهم علينا.

يصرح الشاعر في نهاية القصيدة:[2]

وَكُلُ حُكُومَةٍ عَسَفَتْ وَحـادَتْ عَنِ الْحَقِ الْمُقَدِسِ وَهُوَ بَـادِ
فَبَشَرَهَا بِنَسْفٍ بَعْدَ عَصَـفٍ كَمَا فَعَلَتْ بَعَادِ رِيْحُ عـادِ
وَ يا مِصْرَ الْشَقِيقَةِ فُزْتِ عُقْبَى وَطَابَ حَدِيثُ بَأْسَكِ فِي الْنَوادِي
هُتَافَاتُ الْشَمَالِ إِلَيْكِ تَعْلُـو صَدَى وَعُهُودِهِ لَكِ كَالْعِهـادِ
خُدِي الْأَهْبَاتِ لِلْغَمْرَاتِ وامْضِي فَنَصْـرُكِ قَائِدٍ وَالله هَادِي

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن الظلم والاستبداد الذي ارتكب في حق القنال من طرف الإنجليز، وهو في تقديره لن يستمر وسيزول بفضل إرادة الله وإصرار الشعب الصامد الذي لا يهزم، وسيأتي النصر حتما بعد العاصفة وكل ظالم ينتهي أمره بالهلاك، كما فعلت الريح بعاد حيث أرسلها الله عليهم لتستمر طوال سبعة ليال وثمانية أيام على التوالي، فدمرت كل شيء في المدينة وجعلته رميما، ثم انتقل الشاعر في الأبيات الأخيرة لمناداة الشعب المصري الشقيق (يا مصر)، اخبارهم بأن الفوز حليفهم ويصف فرحة ومساندة الشمال للقضية ويدعو للخوض في غمار المواجهة ضد المستعمر، وأن النصر قادم بإذنه تعالى.

وحين فقد الشرق شاعريه الكبيرين "حافظ ابراهيم" و"أحمد شوقي" بكت مصر والأقطار العربية فقدانهما، ووقف شعراء العرب وبالأخص الجزائريين يندبون حظ الشعر بفقدانهما، ويعزون الشرق، فكان محمد العيد آل خليفة من أوائل من شارك مصر هذه الفاجعة، ففي رثاء " حافظ ابراهيم" الملقب بشاعر النيل، كان مرهف الإحساس قادر على

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان ، ص346

[2] المصدر نفسه، ص 346.

التعبير عن أفكاره بكلام فصيح بليغ، خصوصا قصائده التي تدافع عن اللغة العربية يقول محمد العيد:[1]

قُمْ عَنْ مِصْرَ وَعَزِ الْشَرْقَ أَقْطــارُهُ فَفَحْلُ مِصْرَ خبَا كَالْنَجْمِ وَانْهارَا
خَطِبَ جَوَى فِي ضِفَافِ الْنَيْلِ زَلْزَلَةً وَثَارَ مِلْئَ جَوادِ الْشَرْقِ إِعصَارَا
وَيَا وَيْحَ مِصْرَ خَلَتْ مِنْ (حافِظ) وَخَلاَ فِي الْهَامِدِيْنَ كَأَنْ لَمْ يَثُوهَا دَارَ

يعزي الشاعر مصر وأقطار الأمة العربية بفقدان فحل، فقد كان كالنجم يضيئ الأمة وعند رحيله اختفى نوره، فكان هذا الخبر كالزلزال الذي عم أجواء مصر، ويتوجع لإطفاء صوته على البلد.

ومن رثائه لأمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته " إلى روح شوقي":[2]

عَجَــباً لِـــــدارِ كَيْفَ تَدُورُ؟ نَكْبُ الْشِعْرِ بِهَا وَالشُعُـــورُ
ذَهَبَ الشعْرُ بِهَا حَسَـــراتٍ وَعِرْتَه وَحْشَه وَنُفُـــــــودْ
فَقَدَ الْشِعْرُ مِنَ الشَرْقِ شَمْساً لَمْ يَزَلْ مِنْهَا عَلَى الْشَرْقِ نُوْرْ
فَقَدَ الْشِعْرُ مِنَ الْشَرْقِ سَرْحاً طَالَمَا غَنَتْ عَلَيْـــهِ الطُيورْ
أَيُهَا الْبـــاكِي بِمَأْتَمِ شَوْقِي أَرَأَيْتَ الْنَجْـــــمَ كَيْفَ يَغُورْ
أَرَأَيْتَ الْصُبْـــحَ كَيْفَ يُوَلَى أَرَأَيْتَ الْأَرْضَ كَيْفَ تَمُـــورْ

تساءل الشاعر عن الفاجعة التي حلت بأمير الشعراء، إذ يرى في فقدانه ضعفا للشعر وزواله فهو يرثي الشرق بخسارة أحد أعمدتها الشعرية، وفي البيتين الأخيرين يشبه الشاعر صوت شوقي بالنجم الغائب والصبح الذي يأتي بعد غروب الشمس، وحلول الظلام.

من خلال النماذج السابقة يتبين أن محمد العيد كان يتابع باهتمام ما يحدث على أرض مصر.

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 455.

[2] المصدر نفسه، ص 458.

استقلال ليبيا:

الاستقلال هو مطلب الشعوب العربية من خلال كل أشكال المقاومة التي قامت بها وقد توّجت بعض الدول باستقلالها، ولقد اعتنى محمد العيد بمناسبات الاستقلال قدر اعتنائه بقضايا الكفاح، وعبر عن ذلك أكثر من مرة لأن استقلال أي بلد عربي هو بداية لاستقلال بلدان أخرى، لكن كان التعبير عن هذه المناسبات أقل حماسا في تعبيره عن القضايا ". والشاعر الجزائري صور إحساسه بقضايا الثورة في الوطن العربي، وكان صادقا في إحساسه، لأن شعوره كعربي جعله يحس بواقع الأحداث، وكأنها وقت له، ولم ينسى المناسبات السياسية التي لها صلة بقضايا الثورة لأنها تتوج لها مثل ذكرى الاستقلال في الأقطار العربية"[1]، حيث عبر عن فرحته لاستقلال ليبيا من خلال هذه القصيدة في تحية استقلال ليبيا سنة 1952 قائلاً:[2]

أَمَلُ تَحقَقَ بَعْدَ طُوْلِ نِضــَالِ وَمِثَالُ فَوْزٍ كَانَ خَيْرَ مِثَـــالِ
وَأَرِيْكَةِ أَزْرَتْ بِكُلِ أَرِيْكَـــةِ رَجْحَانَ مَرْتَبَةٍ وَعِزَ مَنـــَالِ
وَغَنِيْمَةِ لِلصَابِرِينَ عَظِيمَـــةُ بِالْعِزِ كَافِلَةٍ وَبِالإِقْبـــــَالِ
أَرَأَيْتَ أَعْظَمَ غَبْطَةٍ مِنْ أُمَـــةٍ مَهْضُومَةٍ حَضِيَتْ بِالاسْتِقْلَالِ
قَدْ يَسْتَجِيدُ بِعَبْقَرِيْ طَامِـــحٍ مَاضِيْ الْعَزِيمَةِ كُلَ شَعْبٍ بَالَ
أَوْ مَا اسْتَجَدَتْ لِيبْيَا (بِمُحَمَدٍ إِدْرِيسَ) عَاهِلِ لِيبِيَا الْمِفْصَالِ
مَلِكْ بَنِي عَرْشْ وَأُسُسِ دَوْلَةٍ فِي لِيبْيَا بِجِهَادِهِ الْمُتَوالِـــي
الْيَومَ أُمَةِ لِيبِيَا قَدْ حَطَمْنَـــا مَا أَحْكَمَ الْطَلْيَانُ مِنْ أَغْـــلَالِ

يتغنى الشاعر هنا ويفرح بعيد النصر والاستقلال الليبي على إيطاليا بعد عناء طويل ويدعو لأن يكون هذا الفوز مثالا يقتدي به الشعوب، وهو يشيد بخصال القائد الشهم والمجاهد المغوار محمد إدريس الذي قاد البلاد للنصر المظفر، كما يشيد بقوة الشعب الليبي في تحطيم الحكم الاستبدادي الذي مارسه المستعمر ثم يلتفت إلى بطولات الشعب الليبي قائلاً:[3]

إِنَ البطولة فِي الوَغَى عَهْدُلَهَـــمْ عهدتَ به الآباءُ للأَطْفَالِ
وَمَضَى بِهِمْ (عُمَرُ) الْشَهِيدَ يَقُودُهُمْ لِلْحَرْبِ يَنْأَمُ نَأْمَةَ الرَّئْبَالِ

---

[1] عبد الله الكريبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 114.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 349.

[3] المصدر نفسه، ص 349.

خَاضَ الْجِهادَ مُضْفَّراً حَتَى انْجَلَى عَمَا انجَلَى والْحَرْبُ ذَاتُ سِجَالِ
لَقِيَ الشَهادَةَ فِيهِ شَنقاً مُرْهَقـــاً تَحْتَ الأَسِنَة مُوْثِقاً بِحِبَـــــالِ
كَتَبَ الإلهُ لَهُ الشَهادَةَ مـــــرَّة لِيَفُوزَ مِنهُ بِطُعْمِهَا العَسَـــــالِ
وَيَكُونَ حَياً غَيْرَ مَيْتٍ عِنْـــدَهُ جَذلاَنَ يُرْزَقُ أَطْيَبَ الأَكَـــــالِ

البطولة في الحرب عهد لهم ومند القدم يورثها الآباء للأبناء، وفي البيت الثاني يفتخر بالشهيد " عمر المختار " الذي استشهد في الحرب، ولقد كان عمود الحرب، ضحى بالنفس والنفيس في سبيل الاستقلال والظفر بالحرية، كما أنه لقي الشهادة وهو مقيد الرجلين فقد نفذ فيه حكم الاعدام وسيوف المستعمر مسلطة عليه ورغم مرارة الشهادة إلا أن ثوابها عسل عند الإله لما لها من أجر عظيم، فبعد لحظات من هذا القيد الظالم سيصبح حرا طليقا في جنات الخلد متنعما بكل ما فيها من طيبات.

ثم ينتقل للافتخار بخصاله وممجدا بإخلاصه الذي أصبح ذكرى في قلوب المؤمنين:[1]

فِي كُلِ قَلْبِ مُؤْمِنٍ ذِكْرَى لَهُ أَبدِيةَ قَرَنَتْ بِكُلِ جِـــــلاَلِ
إِنَّ الْشَهِيدَ يَحِلُّ عَنْ تَخْلِيدِهِ بِالنَّحْتِ فِي نُصْبٍ وَفِي تِمْثَالِ

يرفض الشاعر في البيت الثاني تكريم الشهداء بالنحت على النصب أو التمثال، ويدعو بالمقابل إلى تخليدهم في النفس والوجدان ثم يتحدث عن الذين شنقوه في قوله:[2]

أَمَّا الذينَ قَضُوا عَلَيهِ شَنْقِهِ فَجَزَاؤُهُمْ خِزْيٌ مَدَى الأَجْيَالِ
وَجَلاَؤُهُمْ مُتَحَسِرِينَ أَذِلَـــةً مُتَعَثِرِينَ بِأَقْدَرِ الأَذْيَـــــالِ
ذُوْقُوا عَواقِبَ بَغْيِكُمْ وَتَجَرعُوا خَيْبَاتِكُمْ يـــاَ عُصْبَةَ الأَنْذَالِ

أما الذين عادوك يا عمر الشهيد فلن يهنأ لهم البال، لأن الخزي والعار سيبقى يلاحقهم، وسيغادرون أرض الأحرار أذلة صاغرين يجرون معهم أذيال الخيبة والحسرة تعصر قلوبهم، لأنهم لم يستفيدوا شيئاً من حربهم على الشرفاء، وستبقى اللعنات تطاردهم دائما مهما طال بهم الأمد لأنهم أندال وهذا مصير كل معتد وظالم.

[1] محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 349.

[2] المصدر نفسه، ص 349.

يوجه الشاعر خطابه لحبيبته (ليبيا):[1]

وَلَقَدْ شَجَتْ قَلْبِي وَهَاجَتْ عِبْرَتِي وَرْقَاءُ فِي شَرَفٍ بَعِيدٍ عـــالِ
حَمْرَاءُ حُرَّ جِيدُهَا مِنْ طَوْقِهَـــا فِي الوُرْقِ فَهِيَ عَدِيمَةُ الأَمْثَالِ
هَتَفَتْ فَقُمْتُ مُجَاوِبًـــا لِهُتَافِهَا وَلَحَنْتُ عَنْ قَصْدٍ فَقُلْتُ تَعَالِي
شَرْقِيَة فِـــي الْطَيْرِ أَمْ غَرْبِيَةً مَا دُمْتَ وَاصِلَةً فَلَسْتُ أُبَالِـي
وَالْهَفْتَاهُ عَلَيْكِ حُسْنُـــكِ فَاتِنٌ وَهَوَاكِ مَمْنُـوع وَوَصْلُكِ غَالِ

يصف الشاعر حالته بين الدموع والزفرات لما عاناه في حب ليبيا وهواها، فهي الشريفة الحمراء التي تحررت رقبتها من حبال الأسر، هتفت بالنصر ، وسواء أكانت شرقية الهوى أم غربية فهو لا يبالي لأن حبه لها فوق كل اعتبار.

[1] محمد العيد آل خليفة، الديوان ، ص 350.

استقلال السودان:

نمت النزعة القومية عند الشاعر الجزائري محمد آل خليفة فأضحى عربيا حتى النخاع، عربي الدم والإحساس، فقد تأثر بما يحث في السودان الشقيق، وتابع أخباره وكأنه وطنه الثاني وفرحته باستقلال السودان كانت عارمة وبمشاعر صادقة وهذا ما يتضح جليا في كتاباته " يتجاوب الشاعر محمد العيد مع الأحداث العربية في كل جزء من الوطن العربي، وهذه إحدى قصائده يحي فيها استقلال السودان الشقيق"[1]، فرحة الاستقلال ليست جزئية بل كلية امتدت لتشمل الشرق العربي يقول:[2]

فَوْزُ بُسِرَتْ بِحَدِيثِهِ الرُكبــانُ فَالْشَرْقُ مُغْتَبِـــــطُ جُذْلاَنِ
وَبَنُو العُرُوبَةِ يَهْتِفونَ لِمِرْكِبِ فِي النَيْلِ أَبْحُر رُكْبَهُ الْعِرْبَانِ
ماَ أَسْعَدَ السُودانَ فِي اسْتِقلاَلِهِ فَالَيَوْمَ يَرْفَعُ رَأَسُهُ السُودانَ

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن الفوز الذي راح يتحدث عنه كل الركبان، وفرحة الشرق لاستقلال السودان والعرب يتغنون بالفوز الذي أبحر في النيل، فيا فرحة السودان في تحقيق حريته.

ثم يشترك الجزائريين فرحة الفوز:[3]

مِنْ مَبْلِغِ السُودانِ عَنَا أَنَنَـــا شِيْعَ لَهُ شُعُورِنَـــا خُذْلاَنِ
نَتَبَادَلُ القُبُلاتِ بِاسْتِقلاَلِـــــهِ فَرَحاً وَإِنْ طَافَتْ بِنَا الأَحْزَانُ
مُتَسائِلينَ (عَنِ الجَزائر) هلْ دَنَا تَحْرِيرُهَا أَمْ حَظُهَا الحِرْمانِ؟
وَمَتَى تُقَرِرُ كالشُعوبِ مَصيرُهَا فَقَدْ اقْتَضَى تَقْرِيرُهُ الإِبــانِ؟

يصف فرحة الشعب الجزائري بالنصر الذي حققه السودان، وإن غمرتهم الأحزان ويتساءل عن موعد استقلال الجزائر وتحريرها من براثن العدو الفرنسي، أم أنها ستبقى داخل قفص المعاناة والتعسف الجبري من قبل السلطات الاستعمارية، وهل سيأتي ذلك اليوم الذي تقرر فيه مصيرها كسائر الشعوب الأخرى؟:[4]

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 354.

[2] المصدر نفسه، ص 356.

[3] المصدر نفسه، ص 356.

[4] المصدر نفسه ، ص 356.

يا أُمَةَ السُودانِ دَولَتُكُمْ رَستَ ... طِبْتُمْ وَطَابَ لكُمْ بِهاَ السُلْطَانِ
ضَمَتْ الجَامِعَة لَنَا عَربيـــــةً ... أَعْضَاؤُهَا عَرَبُ بِهَا خِلصَانِ
لاَ تَنْقُضُوها بِالخِلافِ فَإِنَـــــهُ ... لاَ يَسْتَقِيمُ بِهِ لَكُمْ بُنيـــــانِ
فَعَنِ الشِقَاق تَنَزَهُوا وَتَمَسَكُوا ... بِعُرَى الوِفَاق فَكُلُكُمْ إِخْوانِ[1]

هنأ الشاعر محمد العيد دولة السودان بمناسبة يوم نصرها واستقلالها، وانضمام أعضائها لجامعة الدول العربية يدافعون عن قضايا الأمة العربية، معبرا عن ضرورة نبذ الفرقة والشتات والتمسك بالوحدة والأخوة، ليتمكن الشعب السوداني من الحفاظ على سلطانهم.

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان ، ص 356.

العروبة والوحدة:

طالما راودت فكرة الوحدة العربية الشعراء العرب لأنهم يؤمنون بقيمة الاتحاد، وبما أن يد الله مع الجماعة، فإن الواجب هو السعي لاستكمال عناصر التآزر والتجميع، ولأن العيد آل خليفة من الشعراء الذين يتمتعون بروح الجماعة فإنه يدعو من خلال شعره إلى جمع الشمل والوحدة بين الأمة العربية التي تجمعها عناصر ثابتة وراسخة مند الأزل، فاللسان واحد، وكذا العرق واحد وهي مقومات تجعل بعضها لا تلين، إنه يرمي إلى تجسيد هذا الاتحاد من خلال الشباب الذي هو طاقة المجتمع وحركيته، داعيا إياه إلى التسلح بالعلم والمعرفة، وحاثا الشاب الجزائري خاصة إلى التزود من ينابيع النور التي مبعثها الشرق لأنه قبلة المتحررين من نير الجهل ومن أسر المستعمر، فالبلاد العربية في الشرق قطعت أشواطا في العلم والتعلم مما جعلها منارة يهتدي بها ولها شباب المغرب العربي الذي قيده المستدمر وقيد فكره، لذا يلح الشاعر على الشباب الجزائري أن يتزود من معين العلم وينفتح على ثقافة الشعوب المتحررة، فيصبح قويا بعلمه ووحدته مع بني قومه الذين تجمعهم به رابطة الأخوة في العرق والدين.

واكب محمد العيد كل ما يحدث في الساحة العربية فرأى أن أساس الوحدة هو العروبة والاسلام " فهما عند محمد العيد اللحم والسدى قد يتجسدان في موقف واحد كالمواقف الوطنية"[1] ويعد محمد العيد من أكثر الشعراء عناية بالشرق، ومتابعة كل ما يحدث له، والشرق عنده يعني العروبة لذلك يوجه الشباب إلى الشرق ويحذره من الاتجاه إلى الغرب:[2]

يا شَبَابَ اتَجِهِ إِلَى الشَرق واَحفَظِ كُلَ كَنْزٍ إليـــــهِ انْتِسابِ
إنَمَا الشَرقَ لِلْعُرُوبَـــــــةِ وَرْد بَارَكَ المَاءَ سائِغَ مُستطَابِ
هَوَ صَفوَ وَغَيرِهِ لَكِ شَـــــوبَ فَرُدِ الصَفَوَ لاَ تَرُدِ ماَ يُشَابِ

يوجه الشاعر محمد العيد الشباب الجزائري إلى التوجه للشرق والاطلاع على ثقافته وحضارته، من خلال قصيدته بعنوان "إلى العلم" قائلا:[3]

---

[1] عمر بن قينة: صوت الجزائر الفكر العربي الحديث(أعلام، قضايا ومواقف)، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993، ص351.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 260

[3] المصدر نفسه، ص 189.

وَمَا نحْنُ إلاَ مِنْ سُلالهِ يعـــرب فَمنْ رامَ عنهَا فَصلَنَا بـاءَ بالرَغْـــمِ
سَلامٌ كَأزْهارِ الرُبَى طِيبَ الشَـذَى عَلَى كُلَ قُحَّ فِي عُروبَتِـهِ شَهْـــــمِ
عَلَى الْعَرَبَ الأَحْرارِ مَنْ كانَ عارِبًا وَمَنْ بَادَ قَدْما مَنْ (جَدِيسَ) وَمَنْ (طَسمِ)

يحاول الشاعر تأكيد عروبة الجزائر وأن من يفكر في فصلها سيكون مآله الفشل وفي قصيدته "العروبة أمتنا الكبيرة" يقول:[1]

نَبْنِي العُرُوبَةَ مِنْ جَديدِ قَلْعَـــةً مِنْ حَولِهَا قَصفُ المَدافِعِ يُرْعَدِ
فَلتَحي وِحدَتُنَا بِهَا فِي منْعَـــةِ وَمِنَ المُحيْطِ إِلَى الخَلِيجِ تَمْدَدِ
وَلْتَحي مِصْرُ مَعَ الجَزائِرِ فِي رضىً وَمَحَبَّة وَصَداقَـــــة تتأَكَـدِ
وَلِيَحْي شَعباناَ كَشَعْبٍ واحِـــــدٍ وَكلاَهُمَـــا مُتَقَرِبٌ مُتَـودِدِ
وَلْيَحيَ فِي ظِلِ العُـــروبَةِ وُدُّنَا مِلئَ القُلوبِ وَعَهْدُنـــاَ المُتَأَبِدِ

يدعو الشاعر في هذه الأبيات إلى ضرورة الوحدة والتمسك بالعروبة ومبادئها، رغم كل الصعوبات التي تعانيها البلاد العربية شرقها وغربها.

تبين من خلال ما تقدم أن الانسان العربي جيل تربى على حب الوطن والدفاع عنه من أجل نيل الحرية، فكان العربي الثائر على الظلم والاستبداد يسعى لرفع الضيم عن كل شر يهدف لتخريب الوطن، فجاء مصطلح القومية الذي تغنى به الشعراء وخلده الأدباء على غرار الشاعر محمد العيد آل خليفة الذي دعا إلى الاتحاد لمواجهة المستعمر الغاشم، واعتبر أن كل وطن عربي هو وطنه، فتعرض في شعره إلى قضايا تاريخية هامة كالقضية الفلسطينية التي مازالت لحد الساعة قضية شائكة في الأمم المتحدة، ودعا إلى نصرة الفلسطينيين ورفع الغبن عن المسجد الأقصى، ثم ما لبث أن تناول القضية المصرية المتمثلة في قناة السويس، وما تبعتها من آثار على مصر خاصة والأمة العربية عامة، ثم تناول استقلال ليبيا، ويدعو إلى تضميد الجراح والصلح بين الإخوة والفرقاء، ودحر الثغرات القبلية التي تنخر الجسد العربي وقد أشاد الشاعر بقضية أفرحت الوطن العربي وأدخلت السعادة على النفوس وهي استقلال السودان ويعد واقعا رائعا في نفوس الأحرار والمجاهدين في كل الوطن العربي، لقد عبر محمد العيد بكل ما يحمله من شحنات عاطفية مهنئا شعب السودان على استقلاله، وداعيا الأوطان التي مازالت تئن تحت وطأة المستعمر للاقتداء بما فعله

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان ، ص 210.

السودان، واضعا من خلال شعره آمالا مطالبا بتحقيقها بالنفس والنفيس مجسدا من خلال شعره ذلك الحلم الذي يراود كل إنسان عربي حر، إنه حلم الوحدة العربية من المحيط إلى الخليج.

الفصل الثالث: الدراسة الفنية .

اللغة والأسلوب.

الأسلوب التقريري.

الاقتباس من المعجم الصوفي.

الاقتباس من القرآن الكريم.

الاقتباس من القاموس القديم.

صيغ الأسلوب.

أ) الأسلوب الانشائي.

ب) الأسلوب الخبري.

الصورة الشعرية:

مصادر الصورة.

أ/ الطبيعة.

ب/ القرآن الكريم.

أنواع الصور الشعرية.

أ-الصورة التشبيهية.

ب- الصورة الاستعارية.

اللغة والأسلوب:

تعتبر اللغة أبرز الأدوات الأساسية التي يصاغ بها الشعر حيث يعرفها أدونيس أنها " من الظواهر الأساسية في تشكيل بنية القصيدة"[1].

كما يرى صلاح لبكي أن اللغة الشعرية " مجموعة من الكلمات والرموز يجمعها الشاعر، والذي تسلم له اللغة أسرارها بمنتهى العناية لينقل صورا وحالات نفسية تثير انفعالات شعورية وهذه الصورة هي قوام الشعر"[2]، وبهذا فإن اللغة وسيلة أساسية لنقل التجربة الشعورية وعليه فاللغة من أهم عناصر الشعر، إنها أداته التعبيرية والمادة الأولى التي ينسخ بها الشاعر تجربته الشعرية، هذا من ناحية اللغة أما من ناحية الأسلوب فهو الطريقة التي تميز بها كل شاعر عن غيره في اختيار المفردات والتراكيب، لتحقيق الغرض المقصود من الكلام والأفعال في نفوس سامعيه، وقد عرفه ابن منظور في لسان العرب "يقال للسطر من التحيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب فالأسلوب الطريق والوجه والذهب.... والأسلوب طريق تأخذ فيه، والأسلوب الفن يقال أخد فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه"[3]، أي أن الأسلوب هو الطريقة التي يتبعها الشاعر في نهج شعره وعرفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "الأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه، فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب"[4]، فالأسلوب هو طريقة الأديب الخاصة في التعبير عن تطلعاته ومواقفه ورؤاه.

ان اختلاف الأسلوب من مبدع لآخر أمر طبيعي، فلكل شاعر أسلوب خاص تحكمه أطره الفنية المستمدة من نفسيته، فيطبعهُ بطابعه الخاص.

ويعد محمد العيد من الشعراء الجزائريين الوطنيين الذين أبدعوا في مجال اللغة الشعرية والقارئ لشعره يلاحظ أن لغته متنوعة بسيطة "هي لغة الرغبة والجادة في التبليغ، لا لغة الزخارف والأصباغ التزيينية والتلاعب بالألفاظ"[5].

وقد تنوع لديه الأسلوب متشبّعا بمصادر تكوينه وفيما يلي نستعرض أهم ملامحه:

---

[1] سعيد بن زرقة: الحداثة في الشعر الغربي، لبنان، ط1، 2004، ص 218.

[2] عبد المجيد زراقط: الحداثة في النقد الأدبي المعاصر، دار الحرف العربي للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، 1991، ص258.

[3] ابن منظور: لسان العرب، مادة سلب، الجزء1، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة ، مصر، 1300هـ، ص456.

[4] سامي محمد عبابنة: التفكير الأسلوبي، رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء الأسلوبية، عالم الكتب الحديثة، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص39.

[5] عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص69.

الأسلوب التقريري:

يعتمد الشعر على كثير من الأدوات الفنية والجمالية التي تساعد على استقامته ومن أبرزها اللغة والمتتبع لشعر محمد العيد يجده يتميز بالبساطة والوضوح في المعاني والصور.

فجاءت لغته تقريرية سهلة لا تحتاج لتفسير وهذا ما أكده أبو القاسم سعد الله في قوله:« إنك تقرأ شعره، فلا تحتاج معه إلى قاموس ينجدك في تفسير الغامض من الألفاظ، ولا تحتاج إلى كد ذهني للوصول إلى ما يريد من المعاني، فهو شعر قريب من النفس لبعده عن التكلف من ناحيتي الأسلوب والمعنى» [1]، وبذلك فإن شعره يتميز بالبساطة لا يحتاج لإمعان النظر فيه أو تفكير فيما يريده.

ويعود سبب استعمال الشاعر لمثل هذه اللغة إلى الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع الجزائري حيث كان يستخدم مفردات متداولة وواضحة، وهي عموما تدور في مجالات الإصلاح والدعوة إلى التعلم والتمسك بالهوية الوطنية ومقوماتها.

ومن الأمثلة التي توضح لغته التقديرية ما تناوله في قصيدة بعنوان: تفاءل:[2]

أَرَى جُلَ أَصْحَابي إزْدَرُوا بوظِيفَتِـي وَقَالُوا هُمُـومَ كُلَهَا وَجَائِـعُ
وَقَدْ زَعِمُوا عُمري معَ النَشْء ضَائعاً تـاَلله ماَ عُمرِي مَـعَ النَشءِ
سَيَرَوْنَ عَينَ الشِعْرِ وَالعِلْمِ بُرهَـةِ وَتَطْلَعُ للإِسْلامِ مِنهُمْ طَلائِـعُ
فَمِنهُم خَطِيبُ حاَضِـرُ الفِكرِ مُصقَعُ وَمِنهُمْ أَدِيبُ طاَئرُ الصيْت ذاَئِعُ
وَمِنهُـم ولُـوع لِلقَوافِـي لِفكرِهِ بِدائِهِ فِي تَرْصِيفِهَا وَبَدائِـعُ
وَمِنهُـمْ زَعِيـمُ لِلْجَزَائِـرِ قائِدُ وَلَهُ فِي مَجَالاتِ الجِهادِ وَقَائِـعُ
فَهَـذاَ رَجَائِـي قَتْلُهُ مُتَفاَئِـلاً وَلِلشَرْعِ أَيُ فِي التَفاؤُلِ ذَائِـعُ

فاللغة في هذه الأبيات تقريرية مباشرة لأنها تحمل جملة من الحقائق التي يعيشها معلمو اللغة العربية لهذا ساق هذه الحقائق في لغة نثرية، لأن ما يهمه هو الرسالة التي يقدمها للشعب حيث يقول "محمد ناصر" أن اللغة الشعرية المستخدمة هنا لا تثير في المتلقي أي إحساس رغم كونها تعالج موضوعا ذاتيا، لبأن الألفاظ والتراكيب تفتقد التصوير والإيحاء الذين هما أسس اللغة الشعرية"[3]، وهذا يعود إلى المسار الإصلاحي الذي كان الشاعر

---

[1] أبو القاسم سعد الله: شاعر الجزائر، محمد العيد آل خليفة، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2001، ص213.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص379.

[3] المصدر نفسه، ص278.

منخرطا فيه، فهو يعتبر اللغة تلك الأداة البسيطة السهلة الفهم، والتي تستطيع الولوج لذهن القارئ بسهولة.

ونلاحظ أيضا وجود اللغة التقريرية في قصيدته "يا ليل:[1]

يا ليْلَ طُلْتَ جَنَاحًـــا مَتَى تُرِينَا الصَبَاحَـــا
أَرَى الكَرَى صَدَعَنِي بِوجْهِهِ وَأَشْـــــــاحَ
أَمْسَى عَايَّ حَزامـــا مَا كـــــانَ مِنهُ مُبَاحًا
قَدْ ضِقْتُ بِالْهَمِ دَرْعاً ومَا وجَدْتُ انشِراحـــاً
مَلَّتْ فِرَاشِي نَفْسِـــي وَاسْتوحَشْتُ منه سَاحاَ
كَأَنَنِـــــي رَهْنَ سِجْنٍ لَمْ أرجُ مِنهُ سِراجـــاَ
كَأَنَ تحْتِي شَوْكًـــــا يشُوكُنِي أَوْ رِماَحًـــــا

يستهل الشاعر قصيدته بحرف النداء "يا" والذي يوحي بالتطلع إلى الغد ومجيئ الصباح، والتخلص من الهم الذي داق به درعا، بالإضافة إلى وصف حالته الشعورية التي يشعر به، بهذا فإن لغته تقريرية سهلة (يا ليل، طلت جناحا متى ترينا الصباحا) (وكأن تحتي شوكا يشوكني أو رماحا)

هذه العبارة بعيدة عن التعقيد والإبهام.

وفي قصيدة "وقفة على قبور الشهداء" يقول:[2]

رَحِمَ الله مَعْشَرَ الشُهَـــــــداَءِ وَجَزاهُم عَنَا كَرِيمَ الجـــزَاءِ
وَسَقَى بِالنَعِيمِ مِنهُمْ تُرابَـــــــا مُسْتَطَابـــاَ مُعطَرِ الأَرْجَـــــاءِ
فَتَواصَوْا بالحَق والصَبْرِ فِيـــــهِ وَالتَواصِـــي تَضَامُنِ وَجِهـــادِ
أَيُهَا الزائِرُونَ ساَعَةَ طُهْـــــــرِ قَدسِـــي وَعِـــزَةِ قعْســـــــاَءِ
شُهَدَاءِ التَهدْيُنِ في كُلِ عَصْـــرِ سِرْجَ الأَرْضِ بَلْ نُجُومَ السَمَاءِ
لَمْ أَجِدْ فِي الرِجَالِ أَعْلَى وِساَماَ منْ شَهِيد مُخَضَبِ بِالدِمـــــاءِ

تجلت اللغة التقريرية بوضوح في "وقفة على قبور الشهداء" إذ كان للشهداء نصيب من الدعاء بقوله (رحم الله معشر الشهداء، وجزاهم عنا كريم الجزاء) فكانت هذه اللغة سهلة بسيطة مباشرة لا تعقيد فيها.

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص45.

[2] المصدر نفسه، ص397.

الاقتباس من المعجم الصوفي:

يتميز المعجم الصوفي بصعوبة الفهم، إلا لمن تدرب على عالمه العرفاني الروحاني لكن عندما يكتشف يشع ضياء تمتزج فيها النفحات الصوفية مع فلسفة الجمال وضياء الحقيقة وأسرار الصدق، ومن الشعراء الجزائريين الذين خاضوا غمار الكتابة في هذا الفن محمد العيد من خلال تشبعه بالثقافة الدينية وابتعاده عن زخرف الحياة « إن الدارس لشعر محمد العيد لا ينتظر أن يعثر على نماذج غارقة في تصوف حلولي، فالشاعر عاش تجربة التصوف من خلال المناجاة الروحية التي تأتي في رحلات تموج بابتهال الذي يرسله صيحات إيمانية، يناجي بها خالقه المنقذ" من زيف الدنيا وضلالها، الهادي إلى حياة ملؤها النور والحق والصدق» .[1]

وفي قصيدته الزهدية (دنياك أصل ضناك) يقول:[2]

أَرَى دُنياكَ تَعْفُوا كُــلَ عَيْنِ بِهَا ووَتَجُرُ لِلْأَثَرِ العَفـــــاَءُ
فَلاَ تَطْلَبْ صَفَاءَ العَيشِ فِيهَا أفِي الكَدَراتِ تَلْتَمِسُ الصَفَاءُ؟
وَلاَ يغْرُرْكَ حِلْفُ ماَ بينَهُمــَا فلَسْتُ أَرَى لِأَكْثَرِهِمْ وَفَـــاءُ
قَد اخْتَارُوا الظُهُورَ بِهَا وَلَولاَ فَسَادُ الرأيِ لاَخْتَارُوا الخَفَاءُ

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن فناء الحياة، فلا شيء دائم، وعلى الإنسان مجاهدة النفس وحثها على ترك الشهوات والابتعاد على مفاتنها عامة فلا راحة في الدنيا لقوله (فلا تطلب صفاء العيش فيها، ولا يغررك حلف ما بينها).

وكتب محمد العيد أيضا في عالم التصوف بلمسة أخرى تتمثل في التأمل حيث يتجسد ذلك في قصيدة "يا دار" يقول:[3]

بَيْضُ وَسُود وأَخيَارُ وَأَشْـــرَارُ كَمْ تَحْتوينَ عَلَى الأضْدادِ يَا دَارُ
العَرشُ والفُرْشُ والأَحداَثِ بَينَهُمَا خَيرُ وَشَرُ وَشَرُفَاءُ قلاَلُ وَإِكْثَارُ
وَاللَيْلُ والصُبْحُ وَالإِنْسَانُ عِنْدَهُمَا نَعْسَانُ مَسْتَيقِظُ وَالمَاءُ والنَــارُ

---

[1] عمر أحمد بوقرورة: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر (د، ط)، ص102.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص329.

[3] المصدر نفسه، ص14.

يجمع هنا الشاعر في قصيدته مجموعة من الأضداد؛ الخير والشر الليل والصبح، الماء والنار، وهذا يدل على عمق التأمل في الدنيا وصراعاتها وهي عبارة عن بدايات روحية أخذت الشاعر إلى عوالم إيمانية.

كما جسد في شعره نماذج عن عالم العزلة، وهذا ما قال عنه نظيره في الشعر والإصلاح "أحمد سحنون" « إن محمد العيد رجل صوفي ومن شروط الصوفية الاعتزال»[1] ويعبر الشاعر محمد العيد عن هذا الإحساس الاعتزالي بقوله:

عَلِمْتُ بِأَنَ الأَمرَ للهِ وَحْـــــــدَهُ فَنَزَهْتُ قَولِي عَنْ لَعَلَ وَلَيــتُ

خَلاَ القَلْبُ مِنْ حُبِ العِبادِ وبَغْضِهِم وَأَصْبَحَ بَيْتً للذّي حَرَمَ البَيْتَ

ترمز هذه الأبيات إلى اعتزال الشاعر حب العباد، والابتعاد عن قول ليت ولعل وترك كل شيء بيد الله.

الاقتباس من القرآن الكريم.

تأثرت الحركة الأدبية عامة بالقرآن الكريم ونهلت منه كيف لا وهو المثل والنموذج الأرقى« بسبب ما يتضمنه القرآن من التوجيه الشامل للحياة الاجتماعية»[2].

هذا ما جعله المنبع الأول والمصباح المنير الذي يستوحي منه الأدباء لغتهم ومعانيهم وقد كان محمد العيد من المتأثرين به، والمقتبسين من لغته وجعله المصدر الأساسي في صياغته وقد ساعده في ذلك تشبعه بالثقافة الدينية منذ نشأته وانخراطه في الاتجاه الإصلاحي بقيادة جمعية العلماء المسلمين «....وما من شك أن ثقافة الشاعر وبيئة المحافظة جعلته ينظم شعرا هادف باعتبار الذين أكبر العوامل التي تجذب الأسماع وتؤثر في القلوب»[3].

فقد استقى محمد العيد من القرآن الكريم لغة ومعنى والمتتبع لقصائده يجدها لا تخلو من ذلك التضمين القرآني بالإضافة للأخذ من التاريخ الإسلامي والأحاديث النبوية الشريفة.

---

[1] أحمد بوقروة : دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص115.

[2] الرفاعي أحمد: الشعر الجزائري1925–1945، رسالة ماجستير غير منشورة، سنة1979، بإشراف الدكتور عبد الله ركيبي، معهد الأدب واللغات، جامعة الجزائر، ص194.

[3] أبو القاسم سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث، دار المعارف مصر، ط2، 1976، ص217.

وقد تجلت اللغة القرآنية في شعره بشكل واضح ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصيدة "ختمت كتاب الله" وهي قصيدة نظمها محمد العيد بمناسبة ختم ابن باديس القرآن الكريم تدريسا وتفسيرا يقول فيها: [1]

وصُحُفٌ منَ الله الكَرِيم كريمَةٌ مُطَهَرةٌ فغِيهَا كلامُ مُطَهَرُ[2]

هذا البيت مقتبس من قوله **(رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ، فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ)**[3]

وأيضا قوله: [4]

نباتُكَ رَيحانُ وَأَرْضُكِ جَنَةُ وَصَخْرُكِ مُرجَانُ وَمَاؤُكِ كَوثَرُ[5]

هذا البيت مقتبس من قوله تعالى: **(يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ)**[6].

يفتخر الشاعر بأرضه ونبات هذه الأرض حيث وصف الأرض بكونها جنة لما تحمله من خيرات، وشبه صخرها بالمرجان لقيمته وماءها كوثر لصفائه وعذوبته وهو مقتبس من قوله تعالى: **(إِنّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)**[7].

وقوله:[8]

إِذَا كُنْتَ حِزبَ الله وَجَهْرةً فَثِقْ أَنَ اللهَ لابُدَ يُنصَرِ

هذا البيت مقتبس من قوله تعالى: **(أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**[9].

يؤكد الشاعر على ضرورة التمسك بالله تعالى ودينه والصبر على أهوال الحياة لأن الفوز سيتحقق في آخر المطاف.

واعتمد محمد العيد أيضا على الأخذ من القصص القرآني يقول في قصيدته بعنوان "بين الشك والتشكي"[10].

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص157.

[2] المصدر نفسه، ص157.

[3] سورة البينة الآية(2-3)

[4] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص157.

[5] المصدر نفسه، ص157.

[6] سورة الرحمان: الآية2-2.

[7] سورة الكوثر: الآية1.

[8] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص159.

[9] سورة المجادلة، الآية22.

[10] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص22.

وَطَنِي الذِي هَمُـــــوا بِهِ وَدَلِيلُهُ كَدَلِيلِ يُوسُفُ ثَوبُهُ المقْدُودِ
لاَ يَأْمِنُ مِنْ هَبِ العَذَابِ عَلَيهِمُوا فِرعَونُ أَعْتَى مِنهُمَ وَثَمُودِ

أخذ الشاعر الألفاظ والمعاني في البيت الأول من قوله تعالى:« فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم » [1].

شبه محمد العيد واقع وطنه، وما يعانيه الشعب الجزائري من استعمار وسلب جميع حقوقه بواقع سيدنا يوسف المظلوم من طرف امرأة العزيز التي اتهمته زورا، فلم يكن هناك دليل يثبت براءته إلا قميصه.

يؤكد الشاعر على ضرورة التمسك بالله تعالى ودليله الصبر على أهوال الحياة لأن الفوز سيتحقق في آخر المطاف.

كما استوحى الشاعر من القصص القرآني يقول في قصيدته "بين الشك والتشكي" قائلا[2]:

وَطَنِي الَّذِي هَمُوا بِهِ وَدَلِيلُـــــهُ كَدَلِيلِ يُوسُفُ ثَوبُهُ المَقْدُودِ
لاَ يَأْمِنُ مِنْ هَبِ العَذَابَ عَلَيْهِمُوا فِرْعَوْنَ أَعْتَىَ مِنْهُمَ وَثَمودِ

أخذ الشاعر الألفاظ والمعاني في البيت الأول من قوله تعالى:« فَلَماَ رَأَى قَمِيصَهُ قُدَ مِنْ دُبُرِ قَالَ إِنَهُ مِنْ كَيْدِكُنَ إِنَ كَيْدَكُنَ عَظِيم[3]» .

شبه محمد العيد واقع وطنه وما يعانيه الشعب الجزائري من استعمار وسلب جميع حقوقه بواقع سيدنا يوسف عليه السلام المظلوم من طرف امرأة العزيز التي إتهمته زورا فلم يكن هناك دليل يثبت براءته إلا قميصه.

أما البيت الثاني فقد أخذ ألفاظه من قوله تعالى« فَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُكَ سَوْطَ عَذَابْ»[4] يصف الشاعر العذاب الذي لحق بقوم فرعون وثمود ويربطه بالغضب الذي يعيشه الشعب الجزائري جراء الاستعمار.

كما نجد الاقتباس على مستوى اللفظ والمعنى في قوله[5]:

---

[1] سورة يوسف: الآية28.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 22.

[3] سورة يوسف، الآية 28.

[4] سورة الفجر، الآية 13.

[5] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص118.

وَمَنْ لَمْ يُوْقَ شَحَ النْفْسِ لَمْ يَكُ آثِمًا وَلاَ خَاسِراً إِنَ بَاءَ بِالْخُسْرَانِ

هذا البيت أخذت ألفاظه من قوله تعالى(وَمَنْ يُوْقَ شُحَ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونْ)[1].

يقصد الشاعر في هذا البيت أنه يجب على الإنسان التزام حدوده ويتقي شر نفسه لأنها تؤذي إلى الهلاك والهاوية.

كما نقف على الاقتباس في قصيدته بعنوان: (أذان الشرق) يقول فيها: [2]

إِنَ أَفْكَارَنَا تُحَاكُ الْغِشَاوَا تَ عَلَيْهَا وَتَضْرِبُ الْأَسْدَادُ

حيث أخذ ألفاظ البيت من قوله تعالى(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوْبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم)[3].

كما نقف على ألفاظ تدعو إلى التمسك بدين الله تعالى وإقامة شرائعه واهتمام بأركانه ومن المفردات التي وظفها "الصلاة" و"الزكاة" في قوله: [4]

أَيُهاَ التَارِكُ الصَلاَةِ أَيْنَ لي أَيُ عُذْرٍ تَرَكْتَ الصَـــــلاَةَ
أَيُ عُذْرٍ لَهُ تَرَكْتَ صَــلاَةِ تُكْسِبُ الْعَبْدَ خِشْيَةَ وَأُنـــاَةِ
أَغُرُورًا تَرَكْتَهاَ أَمْ نُفــوُراً أَمْ كَفوُراً أَمْ سَخْطَةً أَمْ شَمَاتَاً

يخاطب الشاعر في هذا البيت تارك الصلاة ويحثه على الاهتمام بصلاته وعدم الاستهانة بها لأنه لا يوجد عذرٌ يمكنه أن يبرر ذلك الفعل.

أما كلمة "الزكاة" ففي قوله:

أَيُهاَ التَارِكُ الْزَكاَةِ لِمـــــــاَذاَ لاَ تُزَكي وَقَدْ مَلَكْتَ النَصاَبَــا
مَرَ حَوْلُ عَلَيْكَ مِنْ بَعْدِ حَـــــوْلٍ مِثْلَمَا يُتَبَعُ السَحاَبُ السَحاَبَــا
تُكنِزُ المَالَ ضَامِئًا أَلَسْتَ تَروي مِنْهُ عبَا مَهْمَا اسْتَزَدْتَ شَرَابَا

استخدم الشاعر كلمة "الزكاة" والتي تعد ركنا من أركان الاسلام سنت علينا من أجل تطهير المال وتزكية النفس وسد حاجات المؤمنين.

---

[1] سورة الحشر: الآية 09.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 118.

[3] سورة التوبة: الآيتان 86-87.

[4] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص174.

الاقتباس من القاموس القديم:

يعد محمد العيد من الأدباء الذين اهتموا بالطابع التقليدي القديم وقد تمكن منها وفهم ناصيتها، يعود ذلك إلى ثقافته الدينية التي ساعدت في استيعاب معانيها يقول محمد ناصر« والعجيب في الأمر أن أغلبية الشعراء في هذه المرحلة لم يستطيعوا استثمار التراث الأدبي والاقتداء به في أساليبه البيانية الرائعة.... ولا يمكن أن نستثني من هذا الحكم سوى بعض الممتازين مثل محمد العيد »[1] .

وتعتبر اللغة التقليدية لغة فصيحة خالية من التصنع والتكلف والمتصفح لديوان محمد العيد يلاحظ ارتباطه بالمعجم اللغوي القديم، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصيدته بعنوان "يا فتية العلم شدوا العزم" والتي يقول فيها:[2]

الْيَوْمَ أُسْدِي عَلَى نَولِ مِنَ الْأَدَبِ مَطَارفِي من خُيُوطِ الْشَمْسِ لِلْشَهْبِ
الْيَوْمَ أُهْدِي تَحِيَـاتِي وَمَوْعِظَتِي إِلَى الْعَبَاقِرَةِ الصَيَـابَةِ النُخَـــب
النَازِلِينَ كَقُطْرِ الْغَيْثِ مُنْسَكِبَـــا فِي ظِلِ قُطْـرِ لَهُمْ بِالْنَشَرِ مُنْسَكِبِ
الزَاحِفِينَ لِغَارَاتِ النُهَى طَلَبَـــا وَالْجَامِعِينَ عَلَيْهَا الْهَمَ فِي الْطَلَـبِ

القارئ لهذه الأبيات يلاحظ توظيف الشاعر لمجموعة من الكلمات القديمة والتي نجدها في قصائد أبى تمام والمتنبي على شاكلة(الشهب، مطارفي، خيوط الشمس) فهي مفردات تقليدية.

ومن ملامح اللغة التقليدية أيضا نذكر ما جاء في قصيدته "تحية الشهاب للشباب" يقول:[3]

خَلِيًا عَلَيْكُمَا حَدِيْثُا احْتِجَاجِـي عَرْجَانِي عَلَى الْعُلاَ عَرْجَانِـي
ارْكَبَا بِي الْنَجَاحَ وَخُوضَـــا بِي عَبَابَ الْإِصْلاَحِ فَهُوَ عَبَابِي
وَاطْلُبَا بِي رَغَائِبَ الْشَعْبِ إِنِي فِي سَبِيلِ الْعُلَى وَقَفْتُ طُلاَبِـي

جاءت هذه الأبيات تقليدا للطريقة الاستهلالية التي عهدها الشعراء القدامى مع توظيف معجمهم على شاكلة (عرجاني، عباب).

[1] ناصر محمد: الشعر الجزائري اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 281.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 231.

صيغ الأسلوب:

تميز محمد العيد آل خليفة بتعدد صيغه الأسلوبية التي تبرز أسلوبه الفني، ويمكن أن نجملها فيما يلي:

أ) الأسلوب الانشائي:

كلام مرسل يقال دون القدرة على تحديد ما إذا كان هذا الكلام صدقا أو كذباً يعرفه يوسف أبو العدوس بقوله« ذلك الكلام الذي لا يحتمل صدقاً أو كذباً، وهو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفت به » [1] وله عدة صيغ سنتطرق إليها فيما يأتي:

1- أسلوب الأمر:

استخدم محمد العيد أسلوب الأمر للتعبير عن المعاناة التي كان يعيشها مع شعبه ومن أمثل ذلك: [2]

سَلُوا عَنْهُ أَطْوَادُ الجزَائرِ إنَهـــا صَفَائحُهَا ذِكْرَى صَحَائفِهِ العَّرِ
سَلُوا عَنْهُ أَطْوَادُ الجزَائرِ إنَ فِي مَعْقَلِهِ اللاَتِي كَانَ بِهَا يَسْتَدْرِيّ
سَلُوا عَنْهُ أَطْوَادُ الجزَائرِ كُلَهـــا فَغَارَاتِهِ فِيهَا يَحُلُ عَنْ الْحَصْرِ

تضمنت الأبيات فعل الأمر المتمثل في الفعل (سلوا) ودلالته في هذه الأبيات هو الاعتزاز والافتخار وتتمثل في السؤال عن بطولات جيش التحرير الوطني التي حققها إبان ثورة نوفمبر.

وفي أبيات أخرى يقول: [3]

أَرْشِدِينَا الْسَبِيلَ أَيَتُهَا الْحَمْرَاءُ أَنَا أَقُومُ إِلَيْكِ رُكَانَ

يستخدم الشاعر في هذه الأبيات أسلوب الأمر (أرشدينا) حيث توسل من الحرية أن ترشده إلى تحقيق الاستقلال في الجزائر.

ومن أسلوب الأمر كذلك قوله:

يَا قَوْمَ هَبُوا الْغَنَامِ حَيَاتِكـــُمْ فَالْعُمْرُ سَاعَاتُ تَمُرُ عِجَـــالاً
الأَسْرُ طَالَ بِكُمْ فَطَالَ عَنَاؤُكُمْ فُكُوا القُيُودَ وَحَطِمُوا الْأَغْلاَلَ

---

[1] يوسف أبو العدوس: البلاغة والأسلوب، الأهلية لنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط1، 1999، ص57.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان ، ص433.

[3] المصدر نفسه، ص260.

يدعو الشاعر للثورة على الأوضاع وفك القيود باستخدام الأمر(هبوا، فكوا، حطموا) من أجل ايقاظ الهمم في شعبه الذي طال عناؤه.

في قصيدة أخرى بعنوان "ثورة بنت الجزائر" يقول: [1]

سَاهِمِي فِي الْجِهَادِ جُنْدُ الجِهَادِ وَأَعِدِي لِلْفِدَاءِ لِنَصْرِ الْبِلاَدِ

يَا فَتَاةَ الْبِلاَدِ شَعْبُكِ نـــــادَى فَاسْتَجِيْبِي بِعَزْمِهِ المُنَادَى

يوجه الشاعر في هذه القصيدة نداءه إلى بنت الجزائر من أجل المشاركة في صفوف جيش التحرير بجنب أخيها الرجل مستخدما أسلوب الأمر في قوله (ساهمي، أعدي، فاستجيبي) وأيضا قوله: [2]

فَقُمْ يَا ابْنَ الْبِلاَدِ اليَوْمَ وانْهَضَ بِلاَ مُهْلٍ فَقَدْ طَالَ الرُّقُودُ

استعمل الشاعر أسلوب الأمر من خلال قوله (فقم، انهض) مرسلا رسالة لأبناء الجزائر كيْ يستيقظوا من سباتهم العميق، ويسارعوا لمواجهة الاستعمار واخراجه من البلاد.

2- أسلوب الاستفهام:

جاء أسلوب الاستفهام في ديوان محمد العيد متنوعا ومن أمثلة ذلك قوله:[3]

مُتسائِلينَ عنْ الجزائرِ هلْ دَنَا تَحرُرُهاَ أمْ حظُّهَا الحِرْمانُ؟

وَمَتَى تَقَرُرُ كالشُعوبِ مَصِيرُهَا وَقَدْ اقْتَضَ تَقريرُهُ الإبـــانُ؟

وَمَتَى تَفُوزُ بِنِعمَةِ استِقلالِهَـــا فَقَدْ استَقَلَتْ دُونَهاَ الأَوطَانُ؟

يتساءل محمد العيد في هذه الأبيات عن مصير الجزائر ومتى يحقق حريتها التي طالت، مستخدما أسلوب الاستفهام في قوله(هل دنا تحريرها أم حظها الحرمان، متى تقرر كالشعوب مصيرها، متى تفوز بنعمة استقلالها) والذي يناسب الموقف لأنه لا يدري متى يكون للجزائر ما تريد غرضه الاستفسار.

ومن أسلوب الاستفهام قوله:[4]

أُصبَحُ أَحْيَانَاً بِقَصْدِي واَضِحـــاً وَأَلَجَنُ أَحْيَانَاً فَهَل أَنْتَ فاَهِـــمُ

أَرَاكَ أَخِي مازِلْتَ وَسْنَانُ حالِماَ تَيقظُ إِلىَ كَمْ أَنْتَ وَ سْنَانُ حالِمُ

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان ، ص 430.

[2] المصدر نفسه، ص305.

[3] المصدر نفسه، ص356.

[4] المصدر نفسه، ص139.

يتوجه الشاعر في هذه الأبيات إلى الشعب ليوقظه من سباته مستعينا في ذلك بأسلوب الاستفهام في قوله(فهل أنت فاهم) و (كم أنت وسنان حالم) استفهام جاء على صيغة التعجب يفيد الدهشة لجلب الانتباه

وأيضا في قوله:[1]

نَزْعَمُ أَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ وَفِينَا بَقَايَا مِنَ الْجَاهِلِيَة؟

يتضمن البيت أسلوب الاستفهام في قوله (أنزعم) وهنا الشاعر يستفهم كيف نكون مسلمين، ونحن نحمل طباع الجاهلية وغرضه هو العتاب.

وفي قصيدته بعنوان "ثورة الجزائر" يقول:[2]

كيْفَ أَنسَى قَومِي وَمَوطِن قَوْمِي كَيْفَ أَنْسَى عُرُوبَتي أَو ضادِي؟

كيْفَ أَنسَى أبي وأمِي وَأَهْلِـــي أَهْلَ بَرِي وَحُرْمَتِـــي وَوَدادِي؟

كيْفَ أَنسَى شَعْبِي وَتَارِيخَ شَعْبِي وَأَيْنَ شَعْبِي وَمَالَهُ مِنْ أَيَادِي؟

كيْفَ أَنسَى مَجْدَ الجَزَائِرِ قُدُمــاً كَيْـفَ أَنْسَ مَآثِـــرَ الأَجْدَادِ؟

تحمل هذه الأبيات أسلوب الاستفهام وفيها اثبات لعدم نسيان الشاعر لوطنه وأصله وأهله ومفاخر أجداده فغرض المتكلم هو التأكيد والافتخار.

وقوله:[3]

مَا أَنْتَ فِي الأَعلَامِ هَلْ عِلْمُ زَكَا كَالطُورِ أَمْ عَلَمُ عَلَى السُلْطَانِ؟

يتمثل أسلوب الاستفهام في هذا البيت (ما، هل، أم علم على السلطان) الشاعر يستفهم عن مكانة العلم الجزائري وسط الأعلام وغرضه الثناء.

3- أسلوب النهي:

استخدم محمد العيد آل خليفة أسلوب النهي في ديوانه وأمثلة ذلك نذكر: [4]

وَلاَ نَنْتَصِرْ لِلْبُكَا بِالْبُكَا وَتُبَدِ الشَكَيَّةَ عِنْدَ الشَّكْيَةِ

استخدم الشاعر صيغة النهي في قوله (لا تنتصر) ودلالته العتاب على أبناء الوطن ودعوتهم لترك البكاء والشكوى.

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، 382.

[2] المصدر نفسه، ص393.

[3] المصدر نفسه، ص 403.

[4] المصدر نفسه ، ص381.

وقوله أيضا: [1]

وَلاَ تُزْعِجْكَ آلاَفُ الْضَحَايَا وَمَا أَجْرَاهُ مِنْ دَمْعِهِ الْعَزِيْرِ

جاءت صيغة النهي في هذا البيت بقوله (لا تزعجك) ودلالته هو الدعوة لعدم الاستسلام وتجديد العزيمة وشحن الهمم.

ويقول أيضا: [2]

لاَ تَخَل مَعْشَراً قَضُوا فيِ سَبيلِ اللَّهِ مَوْتَى، بَلْ هُمْ مِنَ الأَحْيَاءِ

أسلوب النهي في هذا البيت هو (لا تخل) وهنا الشاعر يخبرنا بأن الشهداء ليسوا أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وغرضه هو التحفيز.

وأيضا في قصيدته التي يقول فيها: [3]

لاَ تَيْأَسي مِنْ رُوحِ رَبِكِ إِنَهُ مَاَحِيّ الْكَبَائِرَ مَحْسِنّ مِعْطَاء

أسلوب النهي في البيت في قوله(لا تيأسي) فالشاعر يدعو الفتاة إلى عدم اليأس من رحمة الله وأنه غفار الذنوب مهما كبرت وغرضه البلاغي الاستئناس.

ومن أمثلة النهي، قوله:[4]

ولا تيأس من الفوز المرجى فقد تحضر بعد اليبس عود

يخاطب محمد العيد أبناء الجزائر داعيا اياهم إلى الجهاد ويوصيهم بعدم اليأس من النصر في قوله:(ولا تيأس من الفوز المرجى).

ب) الأسلوب الخبري

الأسلوب الخبري هو "قول يحتمل الصدق أو الكذب ويصح أن يقال لقائله أنه صادق أو كاذب.[5]

وللخبر أنواع يمكننا أن نفصلهما من خلال ورودها في ديوان محمد العيد آل خليفة كالآتي:

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان ، ص387.

[2] المصدر نفسه، ص397.

[3] المصدر نفسه، ص433.

[4] المصدر نفسه، ص305.

[5] بكري شيخ الأمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين، بيروت، الجزء الأول، ط1، 1979،ص 53.

من الأساليب الخبرية استخدام "قد" وتفيد التحقيق مثل قول الشاعر في قصيدته " هذه خطوة":[1]

قَدْ عَرَفْنَاكَ نَابِغَ الفِكْرِ حُراً نَلَهُ الْذِكْرُ مُخْلِصاً وَطَنِياً

استخدم الشاعر هنا أسلوب التحقيق موظفا الأداة " قد" من أجل تأكيد المدح فهو يمدح الاستاذ الهادي ويصفه بالإخلاص للوطن.

ومن الأمثلة أيضا ما ورد في قصيدته "يا ليل" يقول: [2]

قَدْ ضِقْتُ بِالْهَمِ دَرْعاَ وَمَاَ وَجَدْتُ إِسْتِرَاحاً

استخدم أسلوب التحقيق "قد" ليصف حالته النفسية المتأزمة والغرض من وراء هذا الأسلوب هو إظهار الضعف.

وأيضا قوله في قصيدته "صوت من الغيب"[3]

قَدْ أَنْجَبْتَ وَتُنْجِبُ الأَ حْرَارَ وَالحَرَائِراَ

حيث أكدت الأداة "قد " عمق المعنى الذي أراده الشاعر، وهو أن الجزائر بلد الأحرار والحرائر.

استخدم محمد العيد أيضا في شعره أسلوب التوكيد "إن" ويتجلى ذلك في قصيدته بعنوان "زلزلة الأصنام" يتولى فيها:[4]

إن الجزائر بالجميل مدينة لمن اقتدى الأسر الضياع وعالها

يؤكد الشاعر هنا على جمال الجزائر بغرض المدح مستخدما أداة التوكيد "ن" وأيضا قوله:[5]

إِنَ أَفْكَارَنَا تُحَاكُ الْغَشَاوَاَ تِ عَلَيْهاَ وَتَضْرِبُ بِالْأَسْدَادِ

حيث ينبه الشاعر إلى خبايا مهمة وهي أن المستعمر يحيك دسائس للقضاء على الفكر العربي وإبقائه مسجونا في ظلمات الجهل، مؤكدا بالأداة "إن" ويقول أيضا:[6]

إِنَّ الجَزَائِرِ مُرتَعُ مُعْشَوشَبِ مُغْدَودَقِ ماَ مِثْلُهُ مِنْ مَرْتَعِ

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص20.

[2] المصدر نفسه، ص45.

[3] المصدر نفسه، ص60.

[4] المصدر نفسه، ص75

[5] المصدر نفسه، ص323.

[6] المصدر نفسه، ص105.

يتجلى أسلوب التوكيد في قوله (إن الجزائر مرتع معشوش) حيث يؤكد على أرض الجزائر وما تحمله من خيرات، وغرضه البلاغي "الافتخار".

وقوله أيضا:[1]

إِنَّ الشِقَاقَ فظيعٌ يَدْعُو لِكُلِ فَظِيعِ

يستعين الشاعر بأسلوب التوكيد "إن" في قوله (إن الشقاق فظيع) ليؤكد على أن التفرقة غير مستحبة وتؤدي إلى الهلاك والدمار، وغرضه البلاغي الحسرة.

يقول أيضا:[2]

إِنَّ الشَبَابَ إِذاَ سَمَا بِطُمُوحِهِ جَعَلَ النُجُومَ مَواَطِئَ الأَقْدَامِ

يشير الشاعر في هذا البيت إلى تحقيق المستحيل إذا تزود الشباب بالرغبة والطموح لنيل العلى فالنجوم هي مثل للسمو والرفعة لذلك يؤكد في قوله "إن الشباب إذا سما بطموحه" على أن من يطمح يصل إلى ما يريد وغرضه البلاغي النصح والارشاد والتحفيز، وفي قصيدته "يا قوم هبوا" يقول:[3]

إِنَّ المُمَثِلَ وَاعِظُ وَمُعَلِمٌ يَهْدِي الغُزَاةَ وَيُرْشِدُ الجُهّالاَ

يظهر أسلوب التوكيد في هذا البيت في قول الشاعر "إن الممثل واعظ ومعلم" فهو يؤكد على مكانة الممثل وما تقدمه من وعظ وارشاد للجاهل واخراجه من متاهة الظلم وغرضه البلاغي المدح.

استخدم محمد العيد أيضا أسلوب القسم للدلالة على أسلوب الخبري في قوله:[4]

وَقَدْ زَعِمُوا عُمرِي مَعَ النشء ضائِعاً وَتاَ اللهِ معَ عُمرِي مَعَ النشء ضائِعُ

استعمل الشاعر هنا أسلوب القسم والمتمثل في (تالله) ليؤكد بأن عمره لم يضع مع الجيل الفني وغرضه البلاغي: الفخر وأيضا في قوله:[5]

أَمَا إِذَا أَمْعَنْت فِي مَكْرِهِمْ فَإِنَهُ والله شَيءُ عَجَابُ

استعمل الشاعر أسلوب القسم في قوله(والله) ليؤكد على خبث ودناءة المستعمر.

---

[1] المصدر السابق، ص212.

[2] المصدر نفسه، ص240.

[3] المصدر نفسه، ص324

[4] المصدر نفسه، ص302.

[5] المصدر نفسه، ص10.

ونخلص مما تقدم أن اللغة والأسلوب عند محمد العيد اتسما بالمتانة والجزالة مع السهولة والوضوح، باعتماده على المصدر الأساس وهو القرآن الكريم بالإضافة إلى المعجم الصوفي بما يحمله من زهد وترك ملذات الحياة والعكوف على نيل رضي الله كذلك حرصه على استعمال الأسلوب التقريري الذي يتميز بالسهولة والوضوح، دون الاستغناء عن القاموس القديم بما فيه من ألفاظ غزيرة المعنى وقديمة الاستعمال، كما تنوع أسلوب الشاعر بين الأسلوب الانشائي والأسلوب الخبري، وقد تعرضنا بالتفصيل لكل صيغة من صيغ الأسلوب كالأمر والاستفهام والنهي والقسم.

الصورة الشعرية:

حظيت الصورة الشعرية لدى الدارسين بعناية كبيرة لما لها من أهمية قصوى في تشكيل الشعر، فالشعر قائم على الصورة منذ أن وجد إلى اليوم، يقول الجرجاني:« ...ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه» [1]، فالشعر فن تصويري يعتمد في جماله على الصورة الشعرية.

وقد أجمع الباحثون في حقل الأدب والنقد قديما وحديثا على أن ما يميز الشعر عن بقية الفنون عنصران، اثنان«الموسيقى والصورة بل لقد ذهب معظمهم إلى أن الشعر في جوهره تعبير بالصور»[2]، وبهذا فإن الصورة من العناصر البارزة في العمل الأدبي، وإحدى المكونات الأصلية للقصيدة حيث لا يحلو أي عمل شعري من التصوير، يقول الجاحظ « فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير»[3].

والصورة هي الوسيلة المعبرة عن جميع الطرق المجازية وأنها قلب العمل الشعري « الصورة الشعرية هي جميع الأشكال المجازية فالاتجاه إلى دراستها يعني الاتجاه إلى روح الشعر»[4].

وبهذا فإن الصورة الشعرية هي الأداة التي يستعملها الشاعر استعمالا فنيا، الهدف منها إيصال الحالة الشعورية إلى المتلقي وجعله يشاركه تلك الحالة لأن الصورة يتحدد إبداعها في مدى نجاحها في نقل الفكرة أو الشعور بمعنى آخر، خوالج الشاعر.

من خلال ما تقدم يمكننا أن نستخلص أن الصورة الشعرية هي روح الشعر الذي بواسطتها يحقق الشاعر غاياته الشعرية.

---

[1] طاينة خطاب: الصورة الشعرية في تصوير الجاحظ وعبد القادر الجرجاني، جسور المعرفة، ع10، سنة2017، ص188.

[2] جابر أحمد صفورة: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص5.

[3] الجاحظ: الحيوان، دار أحياء العلوم، القاهرة، ط3، 1955، ص557

[4] إحسان عباس: فن الشعر ، دار الثقافة، بيروت، ط3 ، 1955، ص238.

مصادر الصورة

يزخر شعر محمد العيد آل خليفة بالصور المتنوعة، والمتعددة التي تبرز واقعه المعيش والمتتبع لمصادر الصورة في شعره يجد أنه استقاها من مناهل عديدة يمكن أن نجمل أبرزها فيما يأتي:

أ/ الطبيعة:

تعد الطبيعة بكل ما تحمله من موجودات وظواهر، المصدر الأساس في إمداد الشاعر بمكونات الصورة، فهو لا يشكل الصورة من فراغ إنما يستمدها من المواد الموجودة في الطبيعة سواء أكانت هذه المواد حية أم جامدة، صامتة أم متحركة ولقد كانت الطبيعة مصدرا هاما في تشكيل الصور عند محمد العيد حيث من خلالها استطاع أن يعبر عن الفترة التي عاشها وشعبه في ظل الحرمان والفقر تحت وطأة المستعمر فاستلهم صورته الشعرية من البيئة الصحراوية« كان العربي الصحراوي يرى فيها تجسيدا لتلك المعاني وإذا أراد تصوير الخسة والنذالة والظلم والغدر حضر صورة الذئب والأفعى والغراب»[1] ومن النماذج التي تصور الواقع الجزائري المؤلم قول محمد العيد: [2]

وَأَغْرَبَ خَطْبٍ هَالَنِي خَطْبُ مَوطِنٍ لَنَا مَنْعَتُهُ الشمسُ أَسرَابَ أَغْــرُبِ
كَمَا حَبَسَتَ عَنْهُ الرياحِ وَعَارَضَتْ لَهُ دُونَ سَيلِ القَطرِ مِنْ كُلِ مَسْرِبِ
بِأَجنِحَةِ السُودِ كَأَنَ خَيالَهَـــــا ظَلامُ بِلِيلٍ قَاتِمِ الوُجْـــــهِ غَيهَبِ
فَيالَكَ فِرْدَوسًـــــا تَحَولَتْ دِمَنَهُ وَيـــــا وحشًا مِنْ أَعْرُبٍ فِيكَ نَعْبُ

استعان الشاعر في هذه الأبيات بصورة من الطبيعة، والمتمثلة في الغربان التي يقصد بها المستعمر الفرنسي الذي عاث في الوطن فسادا فجعل نهاره ليلا من شدة بطشه.

وفي قصيدة "جمال الريف" يقول:[3]

هَزَتْكَ لِلشعرِ حَنَاتَ وَأَشْــــواقُ وَعَـــــاوَدْتُكَ حَسَاسَـــــاتِ وَأَذْواقُ
اليومَ صَدْرُكَ لِلْأَفْراحِ مُنْشَــرِحُ فَمَا عَلَيهِ مِنْ عَليهِ مِنْ الأَنزاَحِ أَغْلاَقُ
أَقِمْ هَنيئاً فَمَا في القَلْبِ مَوْجدَةُ وَنَـــمْ قَريـــراً فَمـــا بِالعَيْنِ أَراَقُ
حَيَتْكَ فِي البَدوِ كُلُ الكَائِنَاتِ بِهِ الرَيــحُ عـــازِفَةُ وَالروضَ صِفــاقُ

---

[1] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص429.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص289.

[3] المصدر نفسه، ص56.

وَالحَقْلُ مُحْتَمِلُ الأشْجَارِ مِنْ طَرَبٍ تَشْدُو وَتَهْفُو بِهِ وَرَقُ وَأَوراقُ

تستلهم هذه الأبيات صورها من الطبيعة حيث جعلها الشاعر مصدر إلهام له، ومكانا للفرح والانشراح، فقد استخدم ألفاظ الطبيعة المتمثلة في (الريح، البدو، الكائنات، الأشجار أوراق) كل هذه الألفاظ هي مكونات الطبيعة وظفها الشاعر في نقل مشاعره للمتلقي.

كما استوحى من الطبيعة صورة الذئاب والغنم والأسود قائلا: [1]

مَا عَاثَتْ الذُؤْبَانُ فِي أَغْنَامِهِ لو كَانَتْ الأُسَادُ فِي آجَامِهِ

هذه الصورة من الطبيعة، حيث يلمح بها الشاعر إلى المستعمر الذي أذاق الشعب الجزائري الويلات، كتوظيف "الذئب" ليجسد مدى خبث المستعمر، وصورة الأغنام التي تدل على طبيعة الشعب الجزائري الذي يتميز بالطبيعة، والأسود يقصد بها الرجال الشجعان الذين يدافعون عن الوطن والشعب المظلوم.

كما وظف صورة "الأفاعي" والتي يقصد بها الخبث والغدر في قوله:[2]

وَيْحُ ابنَ آدَمَ مِنْ عَواقِبِ بَغْيِهِ وَوَلُوعِهِ بِالعَبَثِ وَالإِضْرَارِ

وَوُثُوقِهِ بِالنَفْسِ وَهِيَ كَحبَــةٍ رقْطَاءِ فِيهِ خَفِيَةَ الأَحْجَــارِ

تجسد هذه الأبيات صورة الطبيعة المتمثلة في الأفعى التي ترمز إلى المستعمر ودرجة الخبث في التعامل مع الشعب الجزائري وهدفه إلحاق الأذى والخراب بالأرض.

فلقد حظيت الصورة المستوحاة من الطبيعة بمكانة كبيرة في قصائده « وبما أن عناصر الطبيعة صامتة، أو ناطقة ليس لها على هذا النحو خصائص ذاتية تعد من لوازمها وإنما هي أشياء وأصوات أو مرئيات.....والإنسان هو الذي يعطيها دلالتها»[3].

كما وصف الشاعر مدينة قسنطينة قائلا: [4]

وَتَرَى الحَدائــقَ نَضِرَةَ خَضْــــرَاءَ بَلَلَهَا النَدَى

وَتَرَى الغُصُونَ بِهَا ثَنَى مَتَـــــأَوُدَ مُتَـــــأَوداَ

وَتَرَى الجَدَاوِلَ حَوْلَهَــا تَجْرِي عَلَى طُولِ المُدَى

المَـــــاءُ يَصْبَحُ فِضَةً فِيهَـــا وَيُمْسِي عَسْجَدَا

---

[1] محمد العيد آل خليفة، ص90.

[2] المصدر نفسه: ص329.

[3] محمد الربيع: قراءة الشعر نقلا عن شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ص307.

[4] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص186.

حول الشاعر في هذه الأبيات النباتات إلى كائنات حية تتحرك وتشعر وترقص للنغم ومياه الجداول تجري كأطفال على طول المدى، أما المياه فتتحول من فضية إلى ذهبية بسبب انعكاس الشمس عليها.

وفي قصيدته التي يصف فيها الجزائر بعدما غطتها الثلوج يقول: [1]

أَصحَ قَلْباَ فَوجْدُكَ اليومَ حَمْقُ إنَّ وَجْهَ الطَبيعَةَ اليومَ طَلْقُ
زاَنَتْ الحُوتَةَ السمَاءَ فَزاَلَـتْ ظُلُمـاتِ بِهَا ورَعْدُ وبَرْقُ
وَبَدَا النُورُ مِنْ وَرَاءِ الغيابْاتِ فَمَا فِي خِلاَلِـهَا اليومَ وُدْقُ
وَيَدَ البَحرُ ساكِنًا غير موجَاتِ عَلَيْهَا طَيرُ أَبـابيلَ بَهْقُ
وَأَر َى الثلْجُ ذابَ إلاَ بَقيـاتِ بِهاَ الدُورُ تُوحَتْ فضهِيَ بَلْقُ
خَالِعَاتُ عَلَى الربَى حَلا بَيـ صاَ بَدَتْ تَحْتَهَـا غَلائِلَ زُرْقُ

تحمل هذه القصيدة العديد من صور الطبيعة مثل (السحب، السماء، النور، البحر الطيور) وهي ألفاظ تدل على الحياة والاستمرار والبهجة، وتعكس الحالة الشعورية للشاعر فهو بذلك يجسد الإنسان في الطبيعة وجعلها كائنا حيا يتنفس.

ب/ القرآن الكريم.

اعتمد الشعراء على الصورة الشعرية المأخوذة من القرآن اعتمادا واسعا، خاصة الشعراء المحافظون يقول الدكتور محمد ناصر في هذا « فقد حددت الثقافة السلفية منذ البداية الإطار الذي كان الشعراء المحافظون يصغون داخله صورهم الشعرية، هذا الإطار الذي لا يخرج عن التراث في مصادره المعروفة، قرآنا كريما وأحاديث شريفة، وأدبا عربيا قديما»[2]، وكان محمد العيد من بين هؤلاء الشعراء الذين لا يخلو شعرهم من اللمسة الدينية وذلك لما يحتويه من قوة في اللفظ والمعنى ومن ذلك نذكر ما جاء في قصيدته التي نظمت في نكبة فلسطين التي استوحت ألفاظها من القرآن الكريم يقول فيها: [3]

فِلَسطِينَ العزِيزَةَ لاَ تَخَافِي فَإنَ العَرَبَ هَبُوا للدِفاعِ
بِجَيْشٍ مَظْلِمٍ كَاللَيْلِ عَطَى حَيالَكَ كُلَ سَهلٍ أَو يَقَاعِ
وَمَا أَسْيافُهُ إلاَ نُجُـومَ رُجُومَ لِليَهُودِ بِلاَ نـزَاعِ

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان ، ص23.

[2] ناصر محمد: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص470.

[3] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص335.

هذه الأبيات تعبر عن مساندة العرب للقضية الفلسطينية وفيها اقتبس الشاعر صورته من القرآن الكريم في قوله تعالى: **(وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ)**[1]، حيث عبر في البيت الأخير عن مدى كرهه لليهود وجعلهم في درجة واحدة مع الشياطين، وشبه جيوش العرب التي هبت للمساندة بالملائكة التي ترجم الشياطين والجن.

وأيضا في قوله: [2]

فَشَا الجُوعَ وَاشتَدَ عُسْرُ الْمَعَاشِ وَعَادَتْ سَنُو يُوسُفُ الغَابِرَةِ

هذا البيت عبارة عن وصف لحالة الشعب الجزائري المتدهورة بفعل الاستعمار وهي حالة مزرية من الفقر وصعوبة في العيش وهذه الصورة مأخوذة من قوله تعالى: **(ثُمَّ يَأتي مِن بَعدِ ذلِكَ سَبعٌ شِدادٌ يَأكُلنَ ما قَدَّمتُم لَهُنَّ إِلّا قَليلًا مِمّا تُحصِنونَ)**[3] وهذا البيت يشبه في صورته السنين المعروفة بسني يوسف عليه السلام.

وفي موضع آخر قال مصورا هلاك الرومان:[4]

فَصَبَ عَلَيهِمْ رَبُنَا سَوْطَ بَأْسِهِ وَعَاقَبَهُمْ عَمَا جَنُوه بغائلِ

في هذا البيت وصف لظلم وطغيان وجبروت الرومانيين وكيف تم هلاكهم وقد أخذ الشاعر هذه الصورة الشعرية من قوله تعالى**(فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ)**[5]، فشبه هلاك الرومان بالعذاب المسلط على الكافرين من عند الله، وبيان هذا أن جزاء كل ظالم في الأرض الهلاك.

وفي تصوير الجهود التي قام بها "البشير الإبراهيمي" في نشر العلم ونبذ الجهل بين الجزائريين، استوحى كثيرا من القرآن الكريم فيقول:[6]

هَلْ كُنتَ عيسَى الذِي أَحْيَا الرُفاةَ بِماَ أَحْيَا وَبَدَلَ آجالاً بِآجـــــــالِ

أَمْ البَشِيرُ الذِي أَلْقَى القَمِيصَ عَلَــى يَعْقُوبَ طَبَا بنورِ لِلآسِي جَالِي

---

[1] سور ة الملك: الآية5.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص250.

[3] سورة يوسف، الآية48

[4] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص353.

[5] سورة الفجر: الآية13.

[6] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص502.

شبه الشاعر في هذه الأبيات "البشير الإبراهيمي" بسيدنا عيسى عليه السلام الذي يحي الموتى، وتشبيه عمل البشير الإبراهيمي في نشر العلم والخروج من ظلمات الجهل بقميص يوسف الذي أخذ إلى أبيه يعقوب فارتد بصيرا، حيث استوحى ذلك من سورة يوسف لقوله تعالى:« **فَلَمّا أَن جاءَ البَشيرُ أَلقاهُ عَلى وَجهِهِ فَارتَدَّ بَصيرًا قالَ أَلَم أَقُل لَكُم إِنّي أَعلَمُ مِنَ اللَّـــهِ ما لا تَعلَمونَ**» [1]، بهذا يتضح أن شعر محمد العيد لا يخلو من الصور الشعرية المستوحاة من القرآن الكريم يعود ذلك للبيئة الدينية التي ترعرع فيها.

[1] سورة يوسف: الآية96.

2- أنواع الصورة الشعرية.

أ/ الصورة التشبيهية:

القارئ لشعر محمد العيد يجد أن الصورة الشعرية ارتبطت بمقاييس النقد القديم، حيث افتقدت عالم المفاجأة والابتكار، والغرابة واقترب من السطحية يقول أبو القاسم سعد الله: « الصورة التي يرسمها الانفعال الذي يحدثه وصف محمد العيد في نفسك صورة حائلة غير واضحة وانفعال هادئ سريع التلاشي، ولكنها مع ذلك صورة قريبة من الدهن وانفعال حبيب إلى النفس فيها متعة ولذة وفيها حركة ونشوة»[1].

لا يخفى علينا أن محمد العيد من الشعراء المحافظين، ذلك بسبب البيئة التي نشأ فيها حيث نقف على تعدد الصورة الجزئية، وميله إلى نهج القدامى، فنظم القصيدة العمودية واعتمد على الصورة البلاغية:« واختيار المفهوم البلاغي نراه أنسب إلى طبيعة شعر العيد باعتباره شعرا كلاسيكيا إحيائيا، ترسم الشعر العربي في خطاه، وتوسل بوسائله الفنية وأبرزها وسائل البيان التي تقوم على علاقات التشابه والمماثلة والمقارنة»[2].

علما أن التشبيه عنصر من عناصر الصورة البلاغية، كونه الأقرب إلى الواقع وألصق بالعقل وأكثر تناسبا مع اتجاهه الشعري الواقعي ومن الأبيات التي وظف فيها التشبيه قصيدته "استوح شعرك"[3]

وَالقَومُ كَالأَسَدِ الرَوابِضَ جُثَّمُ ... مِنْ حَولِهِمْ أَو كالنُسُورِ الوقَّعِ

قُلْ للجَزَائِرِ وَهِيَ أُمُ مُرضِعُ ... مِثْلَ اللَبُوءَةِ أَي أُمُ مُرضِعِ

أَبناؤُكَ الأَشْبالِ فِيهَا تَزاوَرُو ... وَتَزاَعَرُو، في الغَيلِ مِنْكَ بِمَسمَعِ

قَدْ خَانَهُمْ فِيكَ الشَرِيكُ فَلَمْ ... يَبُحَ طَيْبَ المَنَاخُ لَهُمْ وَحُسْنِ المَوْقِعِ

أَطْعَمَتْ مُكَثَرَة فَأَطعَمتْ العَدَى ... لاَ تَكْثِرَي الإِطْعامَ كَيْ تُطْمَعِي

بُوركْتَ مِنْ وَطَنٍ تَسامَى فالتَقَى ... بِالمُنتَهَى في مُستَواهِ الأَرْفُعِ

يَحْمِيهِ شَيْبُ كَالمَلائِكِ طَيبَةٍ ... وَشَبِيبَةٍ مَثَلُ النُجُومِ اللَّمْعِ

العِلْمُ سُلطَانِ الوُجُودِ فَسَدَ بِهِ ... مَنْ شِئْتَ أَودَذَ عَنْ حياضِكَ وادْفَعْ

الجَهلُ أَشبَهُ بِالغُرابِ فَمالَهُ ... مِنْ مَنزِلِ غَيرَ الخَرَابِ البَلْقَعِ

---

[1] أبو القاسم سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد، ص166.

[2] مبروك بن غلاب: الصورة الشعرية محمد العيد آل خليفة، إشراف سهير القلماوي، جامعة القاهرة، 1988، ص20.

[3] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص143-144-145..

الفجْرُ يُؤذَنُ بالطُلوعِ فَرَحِبِي بِالنُورِ عَنْ ظَلامِكَ المُتقَشِعِ

تحتوي القصيدة كتلة من المشاعر التي يحسها الشاعر تجاه ما يعانيه الشعب الجزائري، فجاءت مليئة بعنصر العاطفة الممزوجة بالسرور والحزن جراء ما يعانيه هذا الشعب من قبل الاستعمار فالبيت الأول تضمن شبيها يدل على القوة والشجاعة في الألفاظ (الأسد والنسور) فهو يشبه الشباب الجزائري بالأسود والنمور في قوتهم وشجاعتهم، أما في البيت الثاني فشبه الجزائر بالأم المرضعة وشبه قوتها باللبوءة في حماية أبنائها، أما في البيت الثالث فشبه صوت أبناء الجزائر بزئير الأسد دلالة على قوة الشباب الجزائري واستعداده للدفاع عن وطنه، أما في البيت السابع فشبه حماة الجزائر الشيوخ بالملائكة في طيبتها وتدبيرها، أما الشبيبة فشبهها بالنجوم اللامعة وسط الظلام الدامس وفي البيت الثامن شبه العلم بسلطان الوجود وهو تشبيه بليغ، وفي البيت التاسع شبه الجهل بالغراب الذي يحوم على الأرض البياب المخربة، وهي صورة توحي بالوضع الثقافي إبان الاستعمار.

ومن الأبيات التي وظف فيها التشبيه أيضا "قصيدة قوس قزح" يقول فيها: [1]

كَأَنهُ أَرْجوحَـــــــةَ فِيهَا السَحَابُ ارْتَجَحَا
أَو خِنجَرُيةِ القَضَـــاءُ فِي الفَضَـــاءِ طُوحَا
أَو صُلجَانِ فِي السَمَاءِ بالسَـــــلامِ لَوحَـــا
أَو ذَيلُ طَاووسِ بِهَـــا فِي خُلـــــدِهَا تَقَسُحَا
أَوكُمُ حَـــــوراءَ بِـــهِ تُومِي إِلَى مَنْ صَلُحَا

شبه الشاعر في هذه الأبيات قوس قزح بالأرجوحة وذيل الطاووس إشارة إلى جمال ألوانه، التي تحمل الأمن والسلام في طلتها وأيضا بالصولجان الذي يحمل الخير وكم الحوراء التي ينعكس على كمها المزركش نور الشمس فيحوله إلى عالم سحري جميل.

وقد جاءت التشبيهات متتابعة تؤكد تقليدية الصورة عند الشاعر يقول الدكتور محمد ناصر معلقا على هذه المقطوعة«ما من شيء يدفع الشاعر لأن يسوق كل هذه التشبيهات المتتابعة سوى تلك النظرة التقليدية التي كانت تتحكم في الشعراء حين يتخذون من الوصف نوعا من التلهي، وإظهار التفوق وهو أمر يجعلهم والحالة هذه خارج حدود الإبداع الفني»[2].

---

[1] المصدر السابق، ص43.

[2] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1985، ص444.

وفي شعره بعض الصور التي تدل على قدرته الإبداعية، وملكته الشعرية من ذلك قصيدته بمناسبة ذكرى الاستقلال التي يقول فيها: [1]

يا شهْرَ (يوليو) أَنتَ وافِدُ رحْمَتِهِ وتُزيلُ يُمنَ نسْتَطِيبَ لهُ القُرَى
أَنتَ (المسيح) ونحنُ منْ أَحييْتَهُمْ فارِقَ السَماءِ مَقَدِساً وَمُقــدراَ
أَنتَ المُتوجُ فوقَ كلِ مَتـــــوجِ ماَ كانَ دُو تاجِ عَليْكَ لِيفْخَــراَ
قَدْ جاءَ نَصرُكَ عاَسِلاً للشَعْبِ مِنْ عارِ احتِلالِ الأجْنَبِي مُطَهِــراَ

اعتمد الشاعر في قصيدته على التشبيه شبه شهر "جويلية" بالمسيح عليه السلام، الذي كانت لديه معجزة إحياء الموتى، فشبه الشعب بمن أحياهم هذا الشهر وهو عبارة عن تشبيه بليغ، بالإضافة إلى جعله شهرا يختلف عن باقي الأشهر فهو شهر الافتخار والفرحة بالنصر على الاحتلال الفرنسي، فهذه الصورة لا تخلو من عنصر الغرابة إذ إن تشبيه "ليوليو" بالمسيح يدّل على الإحياء.

كما نقف على التشبيه في قصيدته "مالي وللأذى" التي يقول فيها: [2]

كُنْ طاَهراً كالَملاكِ نفَشاً لاَ تُظمِرِ الحقْدَ كالَجمالِ

يشبه الشاعر في هذه الأبيات ضامر الحقد بِالجَمَلْ في إضماره لكل ما يحس به، ويشبه ظاهر الروح بالملاك في نقاوته وصفائه.

وفي موضع آخر يقول: [3]

أَذاقَ فَرنْسَا عَلقَمــاَ بِكِفاحِــهِ وَمَناَ بِفَضلِ الصَبرِ جَرْعِهَا الَّبراَ
وَثُبناَ عَلَيهَا كالَنُمورِ جَــراءَةَ وَثُرناَ كَأَسَدِ الغاَبِ تُرعِبُها زَأَراَ
وَقُمنَا إلَى رَشاشِنَا بِرصَاصِنَا نَفْتَدِ دعْواهَا وَنُبطِلُهَا جَهــــراَ

يشبه الشاعر في هذه الأبيات أبناء الجزائر بالنمور والأسود في قوتهم وشجاعتهم وسرعة انقضاضهم على العدو.

---

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص461.

[2] المصدر نفسه، ص337.

[3] المصدر نفسه، ص439

ب) الصورة الاستعارية:

وظف محمد العيد نوعاً آخر من الصور البيانية وهي الاستعارة يقول عنها ابن رشيق القيرواني " إنها أفضل المجاز، وليس في حلى الشعر أحسن منها وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها"[1].

والاستعارة هي وسيلة الشاعر في تحقيق دقة التعبير وتجاوز الواقع، وجعله يحلق في رحاب الخيال.

ومثال عن استخدام محمد العيد للاستعارة قوله: [2]

إذاَ استَصْرخْتَهُ لِلْحرْبِ لَبَى وَخَفَ إِليكَ مِنْ كُلِ البِقــاعِ

يَجودُ بِكُلِ مُرتَحِضِ وَغَالِي لِيدْفَعَ عنكَ غَاراتِ الضِباَعِ

أشاد الشاعر في هذه الأبيات بشهامة الشعب الفلسطيني، كما استعار الشاعر لفظ الضباع للدلالة علي خبث المستعمر فحذف المشبه وهو الاستعمار وترك قرينة دالة عليه على سبيل الاستعارة التصريحية.

ويقول أيضا:[3]

سَقَتْهَا بالعَذَابِ كُؤُوسَ صَابَ سَوَاه وَآخَرَ سَقْيَاهاَ شُرْبَ المُديرِ

شبه الشاعر العذاب بشيء يشرب فحذف المشبه به وترك قرينة من لوازمه وهو السقي على سبيل الاستعارة المكنية وقوله أيضا:[4]

وَاسْتَدَارَ الزمَانُ فَالسعْي لِلْجنِ سَيْنِ حَتْمَ عَلَيْهُماَ والتَفاَدِي

الاستعارة في قوله "استدار للزمان" حيث شبه الشاعر الزمان بالعجلة فحذف المشبه به وهو (العجلة)، وترك قرينة دالة عليه وهي الدوران على سبيل الاستعارة المكنية.

وقوله:[5]

ذِئَابُ الشّقَاق عَوتْ فيِ البِلاَدِ فَأَيْنَ الرُعاَةُ لِحفْظِ الرَعِيَةِ

---

[1] ابن رشيق القيرواني: تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص186.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص126.

[3] المصدر نفسه ، ص 386.

[4] المصدر نفسه، ص 392.

[5] المصدر نفسه ، ص 381.

شبه الشاعر أعداء الوطن بالذئاب فحذف المشبه وهو الأعداء وترك قرينة دالة عليه وهي الذئاب على سبيل الاستعارة التصريحية.

الكناية:

كما استعمل محمد العيد الكناية في شعره، والتي يعرفها أحمد الهاشمي " هو لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته".[1]

بهذا فإن الكناية عنصر أساسي من عناصر الصورة الشعرية، ومن أمثلة ذلك نذكر قول الشاعر:[2]

قم تجد راية الجزائر تعلو فوق على الربوع والأحكام

تجسدت الكناية في قوله: قم تجد راية الجزائر تعلو، وهي كناية عن الاستقلال.

وقوله أيضا:[3]

أيها الطالب الذي ركب العزم إلى العلم فارها كالحصان

الكناية في هذا البيت في قوله: الذي ركب العزم، وهي كناية على طلب العلم.

وقوله:[4]

أيعدوا الإنجليز عليك زحفا ويعثوا في الحواضر والبوادي

تمثلت الكناية في قوله: أيعدوا الانجليز عليك زحفا، ويعثوا في الحواضر والبوادي، وهي كناية عن الدمار الذي ألحقه الانجليز بالشعب المصري.

أخذت الصورة الشعرية حيزا مهما في مجال الشعر، فهي تعبر عن القيمة الفنية والمستوى الراقي لكل شاعر، وكحوصلة لتوظيف هاته الأخيرة عند محمد العيد آل خليفة نلحظ أنها تفاوتت بين الاستعمال القريب تصريحا ووضوحا، وذلك باستعماله لحقل الطبيعة المباشر (كالبحر، الشمس، السماء، النور)، كما وظف الصور الشعرية جماليا من خلال اقتباسها من مصدر القرآن الكريم في العديد من آياته(كاللؤلؤ، الصراط)، وهذا الأسلوب له ما يؤهله ليكون تعبيرا بليغا، ويضفي نوعا من الصدق والتكثيف المعنوي بين صورة الملموس

---

[1] أحمد الهاشمي: جواهر اللغة في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة هنداوي، (د ط)، 2017، ص345.

[2] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص 381.

[3] المصدر نفسه، ص 266.

[4] المصدر نفسه، ص 344..

والمجرد، ومن جماليات توظيف الصورة الفنية التشبيه والاستعارة والكناية، وقد تفاوت استعمالها في أسلوب الشاعر تفاوتا تستدعيه الضرورة الشعرية.

خاتمة

خاتمة:

بعد هذه الوقفة مع الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة انتهت الدراسة إلى نتائج نجملها في ما يلي:

– فتح محمد العيد جفنيه على وطن وقومية جريحة، تئن تحت وطأة الاستعمار، فأبى إلا أن يسخر شعره لينصف شعبه وقوميته العربية والاسلامية.

– مضامين الشعر التي تناولها محمد العيد كانت جزءا لا يتجزأ من هم الشعب حيث عبر عن آلامه ورصد آماله مما جعله يكسب تجاوب الشعب معه كما استطاع أن ينفذ إلى عقولهم، وتغيير ما علق به من ترهات وخزعبلات استعمارية.

– محمد العيد آل خليفة من الذين أخذو على عاتقهم مهمة اصلاح المجتمع دعا الى مقاومة الانحراف العقدي ونشر المفهوم الصحيح للإسلام واستنهاض الهمم من أجل اخراج المستعمر.

– لم يقتصر اهتمام محمد العيد آل خليفة عن القضايا الوطنية فحسب بل إن ديوانه حافل بالقصائد التي تدل على أن الشاعر كان ذا اتجاه قومي، ولقد سخر قلمه لخدمة القضايا التي تتعلق بالعروبة والاسلام والإنسانية، فلقد كان خير نصير لقضايا الأمة العربية بقلبه وقلمه.

– يتجلى الحس الوطني في شعره بقوة تعكس بصدق عمق الانتماء الوطني لديه.

– تميز شعر محمد العيد آل خليفة بفصاحة اللغة وقوة بيانها وحسن سبكها متمسكا بالأصالة.

– لغة محمد العيد لغة شاعرية ايحائية زاخرة بالصور الشعرية مكنته من نقل أفكاره ورؤاه.

– تميز محمد العيد بحكم تربيته الدينية بالتسامي الروحي، تجلى ذلك بوضوح من خلال أسلوبه التعبيري حيث استقى من القرآن الكريم فكان منبعا هاما لألفاظه.

– لغة الشاعر من خلال قصائده تدل على أنه متعدد القواميس يتضح ذلك من خلال المعاجم المستعملة، فمن الصوفي إلى القرآني إلى قاموس اللغة التقليدية القديمة كل هذا أضفى على اللغة قوة وجمالية.

– ولقد استعمل الشاعر التراكيب الانشائية والخبرية على المستوى التركيبي، ولعل سيطرة أسلوب الاستفهام يرجع إلى الحالة الشعورية التي كان الشاعر يعيشها من كآبة وحزن وتفاؤل وأمل والتي تستدعي التساؤل.

خاتمة

– تمظهرت الصورة الشعرة بنوعيها التشبيهي والاستعاري في شعر محمد العيد، حيث استمدت مادتها من مصدرين أساسين: مصدر طبيعي(الطبيعة)، ومصدر تشريعي(القرآن الكريم).

ومنه فإن الشاعر محمد العيد آل خليفة ومن خلال دراستنا يتضح لنا جليا أنه شاعر القومية الوطنية وهذا لم يأت من فراغ بل إنه تحصيل حاصل لعقيدته الدينية ومرجعيته الاسلامية، فجاء شعره مرآة عاكسة للرابطة الوطنية والقومية.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش.**

المصادر

1) الجاحظ: الحيوان، دار أحياء العلوم، القاهرة، ط3، 1955.

2) محمد العيد آل خليفة: الديوان، مكتب الدراسات، دار الهدى عين مليلة الجزائر، ج1، (د ط)، 2010.

3) ابن منظور: لسان العرب، الجزء1، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة ، مصر، 1300هـ.

المراجع:

1) إحسان عباس: فن الشعر ، دار الثقافة، بيروت، ط3 ، 1955.

2) أحمد الهاشمي: جواهر اللغة في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة هنداوي، (د ط)، 2017.

3) أحمد بوقروة: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، عين مليلة الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر (د ط).

4) أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر (من سنة1945 حتى الاستقلال) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

5) بدوي أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، د ت.

6) بكري شيخ الأمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين، بيروت، الجزء الأول، ط1، 1979.

7) تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

8) جابر أحمد صفورة: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، 1980.

9) حداد مالك: "لقاء مع محمد العيد"، المنبر الثقافي لجريدة النصر، عدد صادر يوم السبت 13 ماي 1967.

10) ختام العناني ومحمد عصام طرية: التربية الوطنية والتنشئة السياسية، دار حامد، عمان، الأردن، 2007.

11) خرفي صالح: شعر المقاومة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د. ت).

12) ابن رشيق القيرواني: تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

13) ركيبي عبد الله: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

14) ساطع الحصري: أبحاث مختارة في القومية العربية، دار المعارف مصر، 1964.

15) سامي محمد عبابنة: التفكير الأسلوبي، رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء الأسلوبية، عالم الكتب الحديثة، عمان، الأردن، ط1، 2007.

16) السد نور الدين: القضية الجزائرية عند بعض الشعراء العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980.

17) سعيد بن زرقة: الحداثة في الشعر الغربي، لبنان، ط1، 2004.

18) سلمان نور: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1988.

19) الشرباصي أحمد: سلاح الشعر، دار القومية للطباعة والنشر، (د– ت).

20) صالح خرفي: الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر (د، ط).

21) طاينة خطاب: الصورة الشعرية في تصوير الجاحظ وعبد القادر الجرجاني، جسور المعرفة، ع10، سنة2017.

22) عبد الله الركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، (د ت).

23) عبد المالك ضيف: الخطاب الشعري الجزائري المعاصر وإشكالية الانتماء الحضاري.

24) عبد المجيد زراقط: الحداثة في النقد الأدبي المعاصر، دار الحرف العربي للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، 1991.

25) العلوي محمد الطيب: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام1830 حتى ثورة نوفمبر1945، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1985.

26) عمر أحمد بوقرورة: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر (د، ط).

27) عمر الدسوقي: دراسات أدبية ، دار النهضة مصر للطبع والنشر، ط2، 1957، ص123.

28) عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعها وقضايا وأعلامها، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون،1993.

29) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.

30) أبو القاسم سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث، دار المعارف مصر، ط2، 1976.

31) أبو القاسم سعد الله: شاعر الجزائر، محمد العيد آل خليفة، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2001.

32) أبو القاسم سعد الله: محمد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ط2، (د– ت) دار المعارف، مصر.

33) محمد البشير الإبراهيمي: مجلة الشهاب سنة1939: نقلا عن: أبو القاسم سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة قضايا أدبية ونقدية، عالم المعرفة، الجزائر، (ط خاصة) ، 2011.

34) محمد الربيع: قراءة الشعر نقلا عن شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم،.

35) محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، عاصمة الثقافة العربية، (د. ط.)، 2007.

36) محمد بن سمينة: محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، 1992.

37) محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، (1925–1975)، دار الغرب الإسلامي، ط2، 2006.

38) مصطفى حلوش: خطبة الشيخ مصطفى حلوش سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين1937.

39) منيف الرزاز: معالم الحياة العربية الجديدة نقلا: عن عبد الله الريماوي: القومية والوحدة في الحركة القومية العربية، القسم الأول النظري، ط1، دار المعرفة، 1961.

40) ناصر محمد: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية.
41) الوناس شعباني: تطور الشعر الجزائري منذ 1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.
42) أبو اليقظان: موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري، البصائر دار العبث، قسنطينة، العدد01، اليوم27ديسمبر1935.
43) يوسف أبو العدوس: البلاغة والأسلوب، الأهلية لنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط1، 1999.

المجلات:

1) مصطفى بلمشري: الاتجاه الثوري في شعر محمد العيد آل خليفة، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، السنة العاشرة، العدد5–6 مارس أفريل1980.

الرسائل الجامعية:

1) الرفاعي أحمد: الشعر الجزائري1925–1945، رسالة ماجستير غير منشورة، سنة1979، بإشراف الدكتور عبد الله ركيبي، معهد الأدب واللغات، جامعة الجزائر.
2) مبروك بن غلاب: الصورة الشعرية محمد العيد آل خليفة، إشراف سهير القلماوي، جامعة القاهرة، 1988.

ملخص

أ) باللغة العربية:

يعد البعد الوطني والقومي من أهم الموضوعات في شعر محمد العيد آل خليفة، لما له من أهمية كبيرة في الساحة الأدبية الجزائرية، كونها تعرضت لفترة زمنية عصيبة إبان الاستعمار.

ب)باللغة الإنجليزية

The national and national dimension is one of the most important topics in the poetry of Muhammad Al-Eid Al-Khalifa, because of its great importance in the Algerian literary arena, as it was exposed to a difficult period of time during colonialism.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان.	–
مقدمة.	أ
مدخل	
1- التعريف بالشاعر محمد العيد آل خليفة.	**4**
2- منابع ثقافته.	**5**
3- نشاطه الشعري.	**5**
الفصل الأول: البعد الوطني.	
مفهوم الوطنية.	**8**
القضايا الوطنية.	**8**
أ/ الجانب الاصلاحي الديني.	**8**
ب) الجانب الاصلاحي الاجتماعي.	**12**
الجانب السياسي الثوري	**21**
- شعره الثوري قبل الثورة.	**21**
أ- الثورة على المستعمر والدعوة إلى الجهاد.	**21**
2- شعره الثوري أثناء الثورة وبعدها.	**22**
أ- مرحلة الإقامة الجبرية.	**22**
ب- وصف بطولات جيش التحرير.	**31**
مفهوم القومية.	**37**
*قضايا الوطن العربي في شعر محمد العيد آل خليفة.	**38**
قضية فلسطين.	**39**
قضية مصر.	**44**
استقلال ليبيا.	**48**
استقلال السودان.	**51**
العروبة والوحدة.	**53**

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث: الدراسة الفنية .	
اللغة والأسلوب.	**57**
الأسلوب التقريري.	**58**
الاقتباس من المعجم الصوفي.	**60**
الاقتباس من القرآن الكريم.	**61**
الاقتباس من القاموس القديم.	**65**
صيغ الأسلوب.	**66**
أ) الأسلوب الانشائي.	**66**
ب) الأسلوب الخبري.	**69**
الصورة الشعرية:	**73**
مصادر الصورة.	**74**
أ/ الطبيعة.	**74**
ب/ القرآن الكريم.	**76**
أنواع الصور الشعرية.	**79**
أ- الصورة التشبيهية.	**79**
ب- الصورة الاستعارية.	**82**
خاتمة	**85**
قائمة المصادر والمراجع	**87**
ملخص	**91**
فهرس الموضوعات	**92**